بحوث وتنبيهات

تأليف

الأستاذ العلامة أبو محفوظ الكريم المعصومي

السفر الأول

نصوص محققة + بحوث ومقالات

باعتناء

د. محمد أجمل أيوب الإصلاحي



الطبعة الأولى

دار الغرب الإسلامي

ص . ب . 5787-113 بيروت

بحُوث وتَنبيهات

1

بسم الله الرحمن الرحيم



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إلــى

أمي أمة الله (خاتون) الكريمة
وأبي الشيخ الأول مولانا محمد أمير حسن.
وأخي الدكتور محمد صغير حسن المعصومي
وبقية أساتذتي الأجلاء،

وكبار المشجعين في مضمار البحث والتنقيب:

الأستاذ الأجل خليل مردم بك
والشيخ الأكبر أبي الحسن علي الحسني الندوي
وعلامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر

تغمدهم الله وإيانا برحمته والغفران

وأفلاذ كبدي: حميد مفتخر — وضيغم حسن
وعشرة خانم — ورأفة خانم
ونور السحر — وطوبى خانم

ومن عني باللغة العربية وآدابها — **حياهم الله وبياهم**

أبو محفوظ الكريم المعصومي
كلكتا (غرب البنغال) الهند

فهرس المحتويات

القسم الأول

النصوص المحققة 5 ـ 92

القسم الثاني

البحوث والمقالات 93 ـ 466

القسم الثالث
التنبيهات والمستدركات 467 ـ 932

الفهارس العامة



تصديـر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فهذه مجموعة نصوص وبحوث ومقالات، حققها ونمقها عالم جليل ومحقق كبير من علماء الهند، قضى أكثر من أربعين سنة من عمره مدرساً في «المدرسة العالية» في مدينة (كلكتا) عاصمة ولاية غرب البنغال الهندية، ومنقباً عن نوادر المخطوطات المحفوظة في خزائن كتبها، ومكبّاً على البحث والدراسة والتحقيق، بعيداً من مهد العربية وحواضرها.

يعدّ الأستاذ العلامة أبو محفوظ الكريم المعصومي مثلاً فذّاً بين نظرائه من علماء الهند، فهو عالم ذو باع طويل في العلوم الإسلامية وبخاصة في التفسير والحديث والتاريخ، أما العربية فقد سيط حبها من لحمه ودمه، فبرّز فيها عالماً وأديباً وكاتباً وشاعراً، مع تضلعه من اللغات الفارسية والأردية والإنجليزية. وعلاوة على ذلك كله هو بحاثة من الطراز الأول، معنيّ بالتراث الإسلامي مطبوعه ومخطوطه. ولا أعلم من معاصريه الأحياء من علماء شبه القارة الهندية من اجتمعت فيه هذه الخصال كلها معاً. وقد تجلت خصاله هذه في كتاباته من حيث تنوع موضوعاتها وكثرة مصادرها، ووسمت منهجه في البحث والدراسة بسمات متميزة.

فطر على التواضع والقناعة والمصابرة، مع الأنفة وإباء الضيم، فسلخ حياته مقبلاً على العلم، لا استفزه حب الظهور وحسن الصيت، ولا فتنته زخارف الحياة الدنيا ومباهجها.

كان حقه أن يتصدر الندوات البحثية والملتقيات العلمية، وأن تعتز بعضويته المجامع اللغوية في البلاد العربية، ولكن لا عرف قدره في الهند ولا اشتهر فضله في البلاد العربية. أما الهند فلأن الاشتغال بالتراث العربي والكتابة في اللغة العربية ـ لا سيما إذا تعلق الموضوع بعلوم العربية ـ صناعة لم تكن نافقة فيها يوماً ما. ولأمرٍ ما كان العلامة عبد العزيز الميمني رحمه الله يصف نفسه دائماً بـ (الغريب). وأما المجامع العربية فلها العذر كل العذر إذ لم تقف على جهود الأستاذ المعصومي وقوفاً جيداً، وذلك لأنه نشر معظم بحوثه في المجلات الهندية التي قلما تصل إلى الباحثين في البلاد العربية. ثم لم تتفق له زيارة العواصم العربية، وحضور ندواتها ومؤتمراتها، ومخالطة العلماء والمحققين فيها. وأخيراً لم يحسن الأستاذ فنّاً أجاده كثيرون، فتمكنوا من الوصول إلى بعض المجامع والمحافل الدولية على الرغم من أنهم لم يحملوا معشار علمه، بل منهم من لا يعرف هِرّاً من برّ ولا قَبيلاً من دَبير. ذلكم فن «العلاقات العامة» وتشبّع المرء بما لم يعط. فحق للأستاذ أن يتمثل بقول الشاعر:

نزلوا بمكة من قبائل هاشم ... ونزلت بالبيداء أبعد منزل

لم يقدر للأستاذ المعصومي أن يلتقي الأستاذ الميمني، ولكنه يحبه، ويجله، ويعد نفسه «قلماً مبريّاً» من أقلام مدرسته. والحق أنه لم يكن في الهند بعد ما غادرها الأستاذ الميمني من يخلفه وينحو منحاه، بل يجول في مجالات لم يطرقها هو، غير الأستاذ المعصومي. وكان من إعجابه بالعلامة الميمني أنه قال فيه قصيدة رائية غراء أحسن فيها ما شاء الله أن يحسن. ومما قال فيه بعنوان (ولوع الشاعر بأعمال الميمني ومدرسة أساليبه):

ولهفي على أني حرمت لقاءه ... وإن خلتني من كتبه في دمى القصر

دمى القصر كلا بل جآذر جاسم ... مساربها بين الأعاريب في قفر

فطاب بها عهدي خديناً مناغياً ... لها، حيث أهواها بحق الهوى العذري

ومـدرسـة للضـاد قـد كـان قطبهـا وإنـي لمـن أقـلامهـا القلـم المبـري

ومن غريب المصادفات أن أول مقال نشره الأستاذ المعصومي بالعربية عام 1951 م ـ وهو ابن عشرين سنة ـ كان عن صاحب قصيدة العروس التي نشرها الأستاذ الميمني ضمن (الطرائف الأدبية)، وعقب عليه الأستاذ الميمني في مقاله الذي نشره في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق بعنوان «جلاء العروس أو نظرة على قصيدة العروس مرة أخرى»، خالف فيه ما ذهب إليه الأستاذ المعصومي في تعيين صاحبها، إلا أنه أثنى عليه قائلاً: «. . . فأعجبني منه حرصه على البحث والتنقيب والنظر والتمحيص، والمجتهد أصاب أو أخطأ لا يحرم ثوابه وإن حرم صوابه. على أن فيما زبر قلمه فوائد علمية لا يستهان بأمثالها، وكل نفس تجزى بأعمالها. وقد كان تجمع عند العاجز طول هذه المدة فوائد يعرف قدرها أمثاله من المغرمين بالعلم الصحيح. . .».

هذا الثناء من الأستاذ الميمني وبخاصة على باحث شابّ ينتقده، له قيمة كبيرة عند الذين يعرفونه. وعاد الأستاذ المعصومي إلى قصيدة العروس سنة 1958 م فنشر عنها وعن أخواتها التي تضمنها كتاب الطرائف مقالاً في مجلة المجمع نفسها بعنوان (نجعة الرائد) نبه فيه على أخطاء وقعت في تحقيق الأستاذ الميمني للقصيدة معترفاً بإصابته فيما قال عن شخصية صاحبها القناص.

وهذا أول مقال نشر للأستاذ المعصومي في مجلة صادرة في البلاد العربية. ثم نشر في العام التالي 1959 م في المجلة نفسها كتاب شرح الألفات لابن الأنباري.

ولما انعقد مؤتمر المستشرقين الدولي في دلهي في أوائل عام 1964 م، قدم فيه الأستاذ المعصومي بحثاً عن نوادر الهجري، ثم اختصره، ونشر هذا المختصر 1969 م في مجلة الدراسات الإسلامية الصادرة في إسلام آباد (باكستان)، فوقف عليه الأستاذ العلامة حمد الجاسر رحمه الله، ونشره في مجلة العرب سنة 1970 م.

هذه المقالات الثلاث هي كل ما نشر للأستاذ المعصومي في العالم العربي، أما سائر بحوثه وتحقيقاته فنشرت في المجلات الهندية والباكستانية، فظلت بعيدة عن متناول الباحثين في الأقطار العربية. اللهم إلا مقالاً واحداً حول ديوان جميل بن معمر العذري بتحقيق الدكتور حسين نصار، ولها قصة ستأتي.

ومن ثم فإن البحوث والمقالات التي تضمها هذه المجموعة ـ على الرغم من كونها منشورة من قبل ـ كأنها تنشر لأول مرة، فهي لا تزال غضة جديدة للباحثين، وأحرِ بها أن تسمى «الغنيمة الباردة».

وسأخص في السطور الآتية بعض محتويات هذه المجموعة ـ وهي كلها جليلة القدر غزيرة الفوائد ـ بلمحات أرجو أن تكون دالّة على أهميتها وقيمتها.

أولاً: قسم النصوص المحققة.

قسمنا محتويات المجموعة إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول في النصوص المحققة، وهو يشتمل على خمسة نصوص:

ـ أولها **كتاب شرح الألفات** لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت 328 هـ)، حققه الأستاذ المعصومي عن نسخة مسندة للكتاب ضمن مجموع عتيق محفوظ في خزانة الجمعية الآسيوية بمدينة كلكتا، ونشره ـ كما سبق ـ في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة 1378 هـ/ 1959 م. وأشار في مقدمته إلى نسختين أخريين من الكتاب لم يتمكن من الحصول عليهما: إحداهما في خزانة برلين وقد فات بروكلمان ذكرها، والأخرى نسخة لاله لي بإستنبول. وبيّن قيمة كل من النسخ الثلاث.

وقد ظهرت نشرة أخرى للكتاب بعد عشرين سنة من نشرة المعصومي، بتحقيق الدكتور حسن شاذلي فرهود في مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض (المجلد السادس سنة 1979 م) اعتمد فيها على نسخة لاله لي. ومن المستغرب أن الدكتور المذكور لم يعرف ـ مع وجوده في أحد المراكز العلمية التي تتوفر فيها المجلات وفهارس المخطوطات والمراجع الأخرى ـ لا نشرة المعصومي

ولا نسخة أخرى من الكتاب!.

- النص الثاني في هذا القسم **مسألة صفات الذاكرين والمتفكرين** لأبي عبد الرحمن السلمي (ت 412 هـ). وهي رسالة نادرة لم يذكرها بروكلمان ولا نور الدين شريبة، حققها الأستاذ المعصومي عن نسخة يتيمة تحمل صور السماع محفوظة في إحدى المكتبات الشخصية في كلكتا.

- أما النصوص الثلاثة الأخرى فكلها لمرتضى الزبيدي صاحب تاج العروس (ت 1205 هـ). وأولها رسالة لغوية بعنوان **القول المسموع في الفرق بين الكوع والكرسوع**، حققت عن نسخة في خزانة العلامة صديق حسن خان رحمه الله، ونشرت في مجلة البعث الإسلامي (لكناؤ) عام 1404 هـ. وقد صدرت نشرة أخرى للرسالة في دار ابن حزم في بيروت بتحقيق مشهور حسن سلمان سنة 1410 هـ، اعتمد فيها على النسخة نفسها، ولم يعرف نشرة الأستاذ المعصومي. وقد وقفت في المدينة المنورة على مصورة لنسخة أخرى للرسالة محفوظة في المكتبة الحكومية الشرقية بمدينة مدراس (الهند). فعارضت نشرة الأستاذ المعصومي عليها، وقيدت الفروق، فأصبحت الآن أوثق من غيرها.

- أما الرسالتان الأخريان فهما **أرجوزتان نادرتان** للزبيدي نشرتا عن مجموع خطي محفوظ في مكتبة الجمعية الآسيوية (كلكتا)، وهما تكشفان عن بعض الجوانب الفكرية والأدبية من سيرة الزبيدي، فتجوزنا في بقائهما ضمن هذه المجموعة التي لا يطلع عليها إلا المختصون، وهم قادرون على التمييز بين الصحيح والسقيم، وبين الطرق المتعرجة المستحدثة وصراط الله المستقيم.

ثانياً: قسم البحوث والمقالات.

يضم هذا القسم ستة عشر بحثاً ومقالاً، تناولت موضوعات متنوعة جداً وتحمل مادة ثرية ممتعة، يستفيد منها طلبة الحديث والتاريخ والفلسفة واللغة والأدب والنقد، وفيها ما يهم المعنيين بالأدب المقارن والأدب الشعبي العالمي.

ثم كل بحث منها يضيف شيئاً جديداً إلى العلم، فهو إما كشف عن مجهول، أو تصحيح لأوهام وأغلاط بعضها موغل في القدم، أو إيضاح لجوانب غامضة، أو إبراز لحقائق غطى عليها الإهمال. وقد اعتمد الباحث فيها أحياناً على موارد خطية فارسية أو عربية لم تكن في متناول الباحثين العرب.

وسيلحظ القارىء في هذه البحوث منهجاً عالياً في البحث، يمتاز بالاستقصاء في جمع المعلومات، وشدة التمحيص، ودقة الموازنة والتحليل، أعانت عليه ذاكرة واعية واطلاع واسع، فكثيراً ما يستخرج الباحث فوائد نفيسة من غير مظانها.

- أول بحوث هذا القسم عن أحد شيوخ الإمام البخاري رحمه الله، وهو **أبو جعفر المصادري** الذي اعتمد الإمام في الجامع الصحيح على روايته لكتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى. ولا يعرف عن أبي جعفر هذا غير كنيته ونسبه. فاعتنى الأستاذ المعصومي بالتفتيش عنه. وتمكن من العثور على فوائد لا يستهان بها عن بعض شيوخه وتلامذته وروايته لكتاب المجاز.

وقفة مع بحث (أبو علي الهجري ونوادره).

أما البحث الثاني فهو عن أبي علي الهجري وكتابه التعليقات والنوادر، وأستأذن القراء لأقف هنا وقفة قصيرة فأقص عليهم طرفاً من تاريخ ظهور كتاب الهجري في هذا العصر، ولا سيما قطعته المحفوظة في الهند، حتى يتبين موضع هذا البحث وما لصاحبه من فضل قديم في العناية بكتاب الهجري، والظروف التي جعلت نسخته التي نسخها بيده من القطعة الهندية أهم من أصلها العتيق، فلا محيص عنها لاستدراك الفائت في نشرة الأستاذ حمد الجاسر رحمه الله أو إعادة نشرة الكتاب حسب ترتيب النسختين.

أول من نوه بكتاب الهجري في عصرنا هو العلامة عبد العزيز الميمني رحمه الله، الذي اطلع على القطعة الموجودة في دار الكتب المصرية واستفاد

منها في تعليقاته على اللآلي. أما القطعة الهندية المحفوظة في مكتبة الجمعية الآسيوية في (كلكتا) فأول من وقف عليها ونبه هو الدكتور محمد زبير الصديقي رحمه الله، إذ قدم ورقة عن الهجري وكتابه في المؤتمر الثاني والعشرين للمستشرقين الذي انعقد سنة 1951 م في إستنبول. ألم فيها بترجمة الهجري ووصف القطعتين من كتابه، لكنه جاء في ورقته بآراء غريبة جداً.

وقد عثر الأستاذ المعصومي سنة 1950 م ـ في أثناء تصفحه لفهرس مخطوطات المكتبة ـ على وجود نسخة لكتاب الهجري، ولكنه عندما رغب في الاطلاع عليها أفيد بأنها خارج المكتبة عند بعض أعضاء الجمعية، فلم تتحقق رغبة الأستاذ المعصومي إلا عام 1953 م إذ عاد المخطوط إلى المكتبة بعدما كان حبيساً عند الدكتور الصديقي زمناً غير يسير، فبادر ونسخ نسخة منه ومن القطعة المصرية التي اجتلبت المكتبة صورة منها. وأكبّ على دراسة القطعتين وتحقيقهما. وقد استفاد منهما في تعقيباته واستدراكاته على دواوين حميد بن ثور (1960 م) وابن الدمينة (1964 م) وجميل بثينة (1965 م).

ولما انعقد في ملتقى الكانونين من عامي 1963 و 1964 مؤتمر للمستشرقين في دلهي قدم فيه الأستاذ المعصومي بحثاً قيماً عن كتاب الهجري، وهذا البحث هو الذي نشر مختصره عام 1969 (1389 هـ) في العدد الأول من مجلة الدراسات الإسلامية الصادرة في إسلام آباد.

اطلع العلامة حمد الجاسر رحمه الله على ملخصات البحوث التي ألقيت في مؤتمر إستنبول ومنها بحث الدكتور الصديقي، فعلم بوجود قطعة من كتاب الهجري في كلكتا، فسعى للحصول على صورة منها، ولكن لم يمكنه ذلك إلا عام 1957 م أو قريباً منه إذ كان المخطوط قد أرسل ـ بعدما نسخ الأستاذ المعصومي نسخته ـ إلى دلهي لترميمه وصيانته.

ثم اطلع الأستاذ حمد على ملخصات بحوث المؤتمر الذي عقد في دلهي ومنها ملخص بحث الأستاذ المعصومي. فلما نشر عام 1388 هـ (1968 م)

كتابه (أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع) قدمه بكلمة إهداء نصها:

«عرف الهجري في القديم بطريق علماء المغرب الأقصى كابن حزم السرقسطي وابن سيده وغيرهما من أهل الأندلس، وعرف ـ في الحديث ـ بطريق علماء من أقصى الشرق: أستاذنا العلامة الجليل أبي عمر عبد العزيز الميمني الراجكوتي، والأستاذ زبير الصديقي، والأستاذ أبو محفوظ الكريم من بلاد الهند. فإلى تلك النخبة الممتازة من العلماء العاملين في سبيل العلم، للعلم وحده، أقدم هذا البحث رمز اعتراف بفضلهم، وهو أقل من أن يفي باليسير من واجب الوفاء لهم، غير أنه جهد المقل».

ثم وقف الأستاذ حمد على بحث الأستاذ المعصومي المنشور في مجلة الدراسات الإسلامية، فأعاد نشره في مجلة العرب (عدد رمضان 1390 هـ/ نوفمبر 1970 م). وقدمه بهذه الكلمة:

«نشرت في عام 1388 هـ (1968 م) بحثاً هو أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع جاء في 443 صفحة، وقدمته بهذه الكلمة... (ونقل كلمة الإهداء السابقة). ولقد حاولت معرفة عناوين هؤلاء العلماء بطريق الملحقين الثقافيين في سفارتي الهند وباكستان لأبعث إليهم نسخاً من هذ الكتاب، فلم أتمكن، فبعثت بها بواسطة سفيرنا في الهند وباكستان سابقاً وفي العراق الآن الشهم المفضال الشيخ محمد الحمد الشبيلي. ويظهر أن بعض النسخ لم يصل إلى من بعث إليه. فقد اطلعت في جزء ربيع الأول سنة 1389 (يونيو سنة 1969) على بحث ممتع للأستاذ أبي محفوظ الكريم المعصومي، يدل على أنه لم يطلع على مؤلفي عن الهجري. وقد رأيت نشر هذا البحث لما فيه من معلومات قيمة، تدل على ما يتصف به كاتبه الأستاذ الجليل من سعة اطلاع وقوة اهتمام وعناية بالأدب العربي، وباللغة العربية لغة القرآن الكريم».

وهذا البحث ـ كما أسلفت ـ كان مختصراً مما ألقاه الأستاذ المعصومي في المؤتمر، وقد أرسل إلي صورة من مسوّدة الأصل التي كتبها بيده، وكنت

حريصاً على نشره في هذه المجموعة دون المختصر، لاشتماله على مزيد من الفوائد، ومن أهمها الردّ على غرائب الدكتور الصديقي. ولكن لعدم وضوح الصورة اضطررت إلى أن أستبدل به مختصره المنشور.

وقد أشار الأستاذ المعصومي في آخر بحثه هذا إلى أنه أعد كتاب التعليقات والنوادر للنشر، فانتظر الأستاذ حمد الجاسر صدوره، ولكن يبدو أن الأستاذ المعصومي نظر إلى عمله فرآه لم يبلغ من الإتقان مبلغاً كان يطمح إليه هو حسب منهجه في التوثيق والاستقصاء. وقد استظهرت ذلك مما قرأته في مقاله عن ديوان ابن الدمينة، فقد ورد في شعر له كلمتان (شغبة وشغوب) وعلق محقق الديوان الأستاذ العلامة أحمد راتب النفاخ رحمه الله ـ وهو من هو في تبحره وسعة اطلاعه ـ قائلاً: «لم تذكر كتب اللغة (الشغبة) ولا (الشغوب)». فعقب الأستاذ المعصومي على ذلك بقوله: «**كانت هذه الشغبة بعينها أتعبتني** حتى وجدت أبا العلاء المعري أنشد البيت بلا عزو في عبث الوليد، وتكلم على هذه الكلمة فقال...»، وبعدما نقل تفسير المعري لكلمة (الشغبة) قال عن (الشغوب): «وأما (الشغوب) كصبور فجاء في شعر الأخطل حيث قال...».

وكلمة أخرى (الأحاقف) جاءت أيضاً في شعر ابن الدمينة وعلق عليها الأستاذ النفاخ: «والأحاقف جمع حقف، ولم أجد هذا التكسير في كتب اللغة وكأنه جمع الجمع». فأفاد الأستاذ المعصومي في تعقيبه: «وردت الكلمة في فائية مزاحم العقيلي فدونكم قوله أولاً:

فمدّت بناناً للصفاح كأنه ... بنات النقا مالت بهن الأحاقف

وكنت بحثت عنها طويلاً إلى أن وجدتها في شعر الفرزدق من رواية ابن حبيب (ت سنة 245 هـ) وجاء في تفسيرها ما نصه: الأحاقف جمع حقف، يقال: حقف وأحاقف وهو ما انحنى من الرمل (ديوان الفرزدق، نسخة المكتب الآسيوي، الورقة 80/ب).

إن هذا المنهج الذي اتبعه الأستاذ المعصومي في تحقيق الألفاظ الثلاثة،

فلم يجاوزها مكتفياً بالإشارة إلى خلو المعاجم عنها، بل ظل يفتش عنها في بطون الدواوين الشعرية وشروحها حتى عثر عليها جميعاً، إنه لمنهج صعب يقصم الظهر ويأكل العمر. فإذا أريد سلوكه في كتاب مثل كتاب الهجري الحافل بأمثالها من النوادر لا في اللغة فحسب بل في الشعر وأسماء الشعراء والأنساب والأماكن فمتى يرجى ظهوره! هذا، وإن عدم حصول المحقق على مصادر مطبوعة ومخطوطة يعلم بوجودها في المكتبات ويأمل الوصول إليها لينفضها نفضاً لعله يجد فيها بغيته، إن ذلك مما يؤخر عمله ويقطع قلبه، فإنه لا يرضى بأن يقول: (لم أجد) إلا بعد أن يستفرغ وسعه. ولعل ذلك هو الذي جعل الأستاذ المعصومي متردداً في إخراج الكتاب بعد كل ما بذله من جهد جهيد وسعي بالغ.

وحدث في عام 1987 م أن صدرت نشرة لكتاب الهجري في بغداد. كان أصلها رسالة جامعية نال عليها طالب عراقي شهادة الدكتوراه من جامعة مصرية، واعتمد فيها على القطعة المصرية فحسب، وقد سطا في دراسته على ما كتبه الأستاذ حمد الجاسر وتلعّب بنص الهجري إذ لم يكن أهلاً لقراءته وتحقيقه، فأثار ذلك حفيظة الأستاذ حمد فأنشأ عدة مقالات في مجلة العرب بعنوان (الدكاترة والعبث بالتراث). ثم أخرج سنة 1413 هـ (1992 م) كتاب الهجري في أربعة أجزاء، قصر الجزء الأول منها على دراسة وافية لسيرة الهجري وثقافته وعصره، وضم إليها مآخذه على النشرة العراقية. أما الأجزاء الثلاثة الباقية فجمع فيها ما استطاع أن يستخلصه من مادة القطعتين من الكتاب بعد ترتيبها في أربعة أقسام: الشعر والرجز، واللغة، وتحديد المواضع، والأنساب. وسمى عمله «دراسة ومختارات»، لأنه لم يستطع قراءة صفحات كثيرة من مصورة النسخة الهندية، واحتراساً من أن يظن أنه تحقيق للكتاب، فإنه إنما قصد «محاولة تقريبه للقارىء في موضوعات محصورة». وقال بصراحة في مقدمة الجزء الأول: «بل لا أزال أتمنى أن يوجد من يقوم بدراسة ما وصل إلينا منه، كما وضعه مؤلفه، وتيسير الاستفادة منه بتحقيقه ونشره. فما سبق نشره منه ـ وهو ما تحويه القطعة

المصرية ـ بحاجة إلى أن يعاد النظر فيه، ليحقق تحقيقاً صحيحاً، ويضاف إليه ما تحويه المخطوطة الهندية من الكتاب فهي أغزر مادة».

علم الأستاذ المعصومي بصدور نشرة الأستاذ حمد الجاسر، فطلب إلى غير واحد من معارفه إحضار نسخة له، ولكن مطبوعات دار اليمامة ليست متيسرة في عامة المكتبات، والنسخة التي أهداها إليه الأستاذ حمد فور صدور الكتاب (كما حدثني بذلك رحمه الله لما زرته لأول مرة في 1419/1/25 هـ) أخطأته ـ فيما يبدو ـ لسهو في العنوان البريدي. فلما أبديت استعدادي لإيصال نسخة أخرى إلى الأستاذ المعصومي أحملها إليه بنفسي أو بطريقة تضمن وصولها إليه، فرح الأستاذ حمد وشكرني، وكتب إليه في رسالته المرافقة للكتاب المؤرخ في 1420/2/25 هـ: «. . . وقد حاولت أن أرتب ما استطعت قراءته من المخطوطتين في دار الكتب المصرية وفي جامعة كلكتا (سهو، وهو يعني نسخة الجمعية الأسيوية) لأنني حاولت مراراً الحصول على نسخة مصورة منها فلم يتحقق لي هذا. وها أنا أبعث لكم نسخة من عملي لعل لديكم ما تلاحظونه لترشدوني إلى ما قد وقعت فيه من خطأ، وسأكون شاكراً لكم وسأنشره عندي في المجلة التي أصدرها واسمها مجلة (العرب). . .».

فلما سافرت إلى كلكتا في العام الماضي لزيارة الأستاذ المعصومي لأول مرة حرصت على الاطلاع على القطعة الهندية من كتاب الهجري، والنظر ـ على وجه الخصوص ـ في أوراقها الأخيرة التي اشتكى الأستاذ حمد الجاسر من طمسها أو عدم وضوحها، لأعرف أن ذلك كان من جراء سوء التصوير أو عيب في النسخة نفسها. وقد تفضل الأستاذ المعصومي، فتجشم ـ مع ضعفه ـ الذهاب معي يومين إلى المكتبة فسعدت في اليوم الثاني (1421/3/20 هـ) برؤية هذه الدرة الفريدة.

كعقيلة الدرّ استضاء بها	محرابَ عرشٍ عزيزِها العُجْمُ
أغلى بها ثمناً وجاء بها	شخْتُ العظام كأنه سهمُ

وآلمني أن الأوراق التي أشار إليها الأستاذ حمد هي على ما وصفها من عدم الوضوح بحيث تستعصي قراءتها. وقد حدثني الأستاذ المعصومي أنه لقي منها عناء شديداً حينما نسخ نسخته إلا أنه تمكن من قراءتها، ولكن تغليف الأوراق زاد من خفاء الكلمات كما جار أحياناً على أطراف الصفحات، فإن كان ترميم النسخة نفعها من جانب فقد أضرّ بها من جانب آخر. وتبين لي من ذلك أن نسخة الأستاذ المعصومي أصبحت الآن أهم من أصلها المحفوظ في مكتبة الجمعية الآسيوية، لإكمال النقص الحاصل في نشرة الأستاذ حمد الجاسر. فاشتقت إلى الاطلاع على نسخته أيضاً، ولكن عزّ عليه ـ أعزه الله ـ تمكيني من ذلك لبعض ظروفه الخاصة.

ولا غرو أن الأستاذ حمد الجاسر رحمه الله والأستاذ المعصومي حفظه الله كانا خير من ينهض بتحقيق هذا الكتاب لو تهيأ اشتراكهما في العمل وتظاهرا عليه، ولكن قدر الله ما شاء، وقضى الأستاذ حمد نحبه وأدى ما عليه جاهداً غير آلٍ، فجزاه الله عن العلم والعلماء خير الجزاء. وأملنا معقود الآن بالأستاذ المعصومي ونسخته، فإما أن يتجرد لإخراج الكتاب كاملاً حسب ترتيب النسختين، مستفيداً من تحقيقات سلفه في علم النسب والأماكن، أو يقابل المطبوع على نسخته، فيصحح الخطأ، ويسد الخرم، ويستدرك الفائت، ويفرد كل ذلك في كتاب يكمل العمل السابق، وقد دعاه إلى ذلك الأستاذ حمد الجاسر نفسه.

وأعتذر إلى القارىء من الإطالة التي حملني عليها قصدي إلى توضيح جوانب من تاريخ الاهتمام بكتاب الهجري، بالإضافة إلى ما يقلقني على مستقبله، حينما أنظر إلى ظروف الأستاذ المعصومي وعلو سنه وصحته. أسأل الله أن يعافيه، ويفرّج عنه، ويعينه على القيام بهذه المهمة.

ـ البحث الثالث من بحوث هذ القسم عن **نسب قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب وإسلام جده**. أزال فيه الأستاذ المعصومي الغموض الشديد الذي يحيط

بأبيه وبجدّه على وجه الخصوص. وفند أولاً قول النديم بأن أباه جعفراً «ممن لا تفكر فيه ولا علم عنده» وأثبت أن جعفر بن قدامة المترجم عند الخطيب البغدادي هو أبو قدامة صاحب نقد الشعر. وقد ردّ في ذلك على الدكتور بدوي طبانة الذي أثار الشك في سياق الخطيب، فقارن المعصومي بين سياقه وسياق النديم ورجح الأول بدلائل قوية.

هذا، وأهم ما يضيفه هذا البحث إلى ترجمة قدامة المعلومة إثبات أن الذي أسلم بعد كونه نصرانياً هو جد قدامة بن جعفر بن قدامة، خلافاً للقدامى والمحدثين جميعاً الذين فهموا من كلام النديم أن قدامة الحفيد هو الذي أسلم على يد المكتفي، ثم رجح أن جده هو (قدامة بن زياد النصراني) الذي ذكره الطبري في أثناء الخبر عن نكبة إيتاخ الخزري في سنة 235 هـ، وقد حشد الباحث أدلة كثيرة على ما ذهب إليه.

- في بحثه عن كعب بن زهير عني الباحث أولاً بتحقيق نسبه، فرد على من جعل كعباً من غطفان، وأول من نقل ذلك ابن سلام الجمحي، وتبعه ابن قتيبة الذي تبعه أبو عبيد البكري. فأكد الأستاذ المعصومي أن كعباً من مزينة لا غير، على أن أخواله من غطفان، فإن أم بني زهير كلهم كبشة بنت عمار، وهي من بني عبدالله بن غطفان. وعاش زهير في أصهاره، فنشأ أولاده في أخوالهم.

ثم اتجه إلى تمحيص قصة إسلام بجير وكعب، ووفادة كعب على النبي ﷺ وإنشاده قصيدة بانت سعاد، وما إلى ذلك.

- في سنة 1960 م نظمت جمعية إيران في مدينة كلكتا (IRAN SOCIETY) ندوة علمية عن العلامة الفيلسوف صدر الدين الشيرازي الشهير بـ (ملاّ صدرا) الذي ظل شرحه لهداية الحكمة للأبهري جزءاً من المنهج الدراسي السائد في المدارس الهندية طيلة قرون، واستهلكته شروح علماء الهند وحواشيهم. فقدّم الأستاذ المعصومي في هذه الندوة بحثاً تناول فيه جوانب من حياته مستدركاً على بعض الباحثين المختصين كالمستشرق الكبير (إدورد براون). وأعدّ في آخره ثبتاً

وافياً لمؤلفات الشيرازي المطبوعة والمخطوطة، مع الدلالة على نسخها الخطية وأماكن وجودها. وأضاف إليها ملحقاً بحواشي علماء الهند على شرحه لهداية الحكمة. وقد لقي البحث إعجاباً من المشاركين في الندوة، وأشاد به الدكتور حسين نصر الذي كان من المشاركين أيضاً في كتابه عن الشيرازي.

ـ أما بحث **العلامة مرتضى الحسيني البلجرامي الزبيدي ـ حياته وآثاره** فأعظِم به من بحث! وقد حفز الأستاذ المعصومي إلى كتابته ما أثاره الأستاذ عبد الستار فراج رحمه الله في مقدمته للطبعة الكويتية من تاج العروس من شكوك في كون المرتضى هندي المولد والمنشأ. وقد رد عليه الدكتور السيد محمد يوسف رحمه الله بمقال نشره في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (المجلد 43 ص 930 ـ 936) بعنوان «المرتضى كالمهند لا ينكر معدنه». ولكن الأستاذ المعصومي رأى أدلته غير كافية، فتجرد لهذا البحث القيم.

تحدث فيه عن مولد المرتضى (بلگرام) وبحث تاريخ ورود الأسرات العثمانية والصديقية والسادات الواسطية إليها وإقامتهم فيها، من واقع المصادر التاريخية الأصيلة من الكتب والسجلات المطبوعة والمخطوطة. وهذه مادة جديدة كتبت لأول مرة في اللغة العربية. ثم حقق نسب المرتضى واسمه ولقبه، وبين سبب الغموض في أصله الهندي. وغاص بعد ذلك في المجلدات العشر من تاج العروس نفسه ليستخرج منها مواد هندية منوعة تتعلق بتاريخ الهند وثقافتها ورجالها وأماكنها والمشايخ الذين تخرج عليهم فيها، مما لا يمكن أن يدونه على ما هو عليه من الضبط والتدقيق مؤلف من خارج الهند.

ثم أرخ المؤلف رحلات الزبيدي في طلب العلم في داخل الهند وخارجها إلى أن استقر في مصر وتوفي بها سنة 1205 هـ، ونبه على أخطاء المؤلفين في ترجمة الزبيدي، وعدّ سبعة شيوخ له قرأ عليهم في الهند. وختم البحث بثبت لمؤلفاته ورسائله التي بلغت إلى 159 عنواناً.

ـ وهذا بحث شامخ آخر يتناول شخصية قديمة من أعلام الهند في الطب

وغيره من العلوم. وهي شخصية (شاناق) الذي عاش ـ حسب ما وصل إليه البحث الحديث ـ في المائة الرابعة قبل الميلاد. وقد ذكره ابن أبي أصيبعة من أطباء الهند المشهورين فقال: «كانت له معالجات وتجارب كثيرة في صناعة الطب، وتفنن في العلوم والحكمة، وكان بارعاً في علم النجوم، حسن الكلام، متقدم عند ملوك الهند».

وقف العرب على عدد من مؤلفات شاناق، فنقلوها إلى العربية، وقد وصل إلينا من تلك الترجمات ترجمة كتاب السموم التي نشرها (أوغست مولر) سنة 1880 م في مجلة ZDMG عن نسخة محفوظة في برلين، ثم أخرج (بطينا إستراوس) نشرة علمية لها عن ثلاث نسخ سنة 1934 م.

أما الباحثون الهنود فلم يعثروا حتى الآن من آثاره إلا على كتاب واحد في السياسة والنظم الإدارية واسمه (أرطشاستر) الذي حقق نصه السنسكريتي المحقق الهندي الشهير (شاما شاستري) ونشره أول مرة في سنة 1909 م.

استعرض الأستاذ المعصومي ما ورد عن شاناق في المصادر العربية القديمة وما وصلت إليه التحقيقات الحديثة التي قام بها المستشرقون والباحثون الهنود، وحرر من خلال ذلك هذا البحث القيم الذي قدم فيه صورة واضحة الملامح لشاناق ومترجم كتابه عن السموم من الهندية إلى الفارسية (منكه الهندي). ولما عرّف بآثار شاناق عرج بصورة خاصة على كتابيه المنشورين وأشار إلى محتوياتهما، وختم البحث بتحقيق الفصل الذي أورده الطرطوشي في سراج الملوك من كتاب سماه (منتحل الجواهر) لشاناق الهندي معتمداً على نسخة خطية لكتاب الطرطوشي وترجمة فارسية مخطوطة له بالإضافة إلى طبعته المصرية وغيرها.

والعمل المهم الذي قام به الأستاذ المعصومي في تحقيق هذا الفصل هو مقارنة الحكم التي تضمنها بنظائرها التي وردت في كتاب (أرطشاستر) لشاناق

وكتاب (نيتي سار) لـ (كامندك) وتحرير أسماء الملوك المذكورين فيها وردّها إلى أصولها الهندية.

ومن أعجب ما في هذا البحث ما كتبه الأستاذ المعصومي عن «الجارية المسمومة»، وانظر كيف أمدّته قراءاته الواسعة المتنوعة بمادة نادرة لم يكن ليعثر عليها لو سلك المنهج الذي يتبعه أكثر الباحثين المختصين في جامعاتنا اليوم. وذلك أن آخر أبواب كتاب السموم كان في ذكر طرق خفية لأهل الهند في تغذية الجارية الصغيرة بالسم فأمر المأمون بحذفه عند ترجمته إلى العربية. وقد أحال شاناق على هذا الباب في موضع من كتابه فقال عن (الجارية المسمومة): «. . . وهذا مما انقطع، وإنما هو شيء كان فيما مضى، لا تجربة لنا به». فاستدرك عليه الأستاذ المعصومي إذ نقل حكاية من كتاب آثار الأول للعباسي تدل على أنه لم ينقطع وكان معمولاً به في القرن الرابع قبل الميلاد أي في زمن شاناق نفسه! ثم اكتشف وجوده عند المسلمين في الهند في القرن العاشر الهجري، ونقل من كتاب النور السافر للعيدروسي ما يشهد بذلك.

ـ سيجد القارىء في هذا القسم مقالين أتحفنا فيهما المؤلف بطائفة من شعر (أمير خُسْرو) المتوفى سنة 725 هـ و (مرزا غالب) المتوفى سنة 1285 هـ. أما الأول فكان من أذكياء العالم، وقد برزت عبقريته في عدة مجالات منها الشعر، فكان من كبار شعراء الفارسية في الهند. أما (غالب) فإنه يعد أشعر شعراء الأردية. وقد حبب إلى الأستاذ المعصومي أن ينقل بعض شعرهما إلى العربية نظماً. وعلى الرغم من أن ترجمة الشعر تفقده معظم القيم الجمالية الموجودة في الأصل، وتصبح الترجمة شعراً جديداً له خصائصه وقيمه؛ لا يزال الأدباء يهتمون بترجمة روائع الشعر العالمي إلى لغات مختلفة، ويجد الناس في قراءتها لذة جديدة تختلف عن التي ألفوها في شعرهم. ولا شك أن فن الترجمة نفسه فن صعب المراس، فكيف إذا كان النص المترجم نصاً شعرياً بديعاً، ثم أراد المترجم أن ينقله شعراً كذلك! وقد تيسر للأستاذ المعصومي بحسه الفني ومقدرته البيانية أن يمتع قراء العربية بترجمة منظومة

لمقطوعات وأبيات من كلام الشاعرين العظيمين.

ـ وصلتنا مقالات للأستاذ المعصومي متأخرة، فوضعناها في آخر هذا القسم، ومن أهمها: مقاله عن **قرابة أم مسطح بن أثاثة من أبي بكر الصديق رضي الله عنه**، ومن أطرفها: **قصة الرز في الأدب العربي**. فالمعروف عند العلماء والدارسين والمثقفين عموماً أن مسطح بن أثاثة ابن خالة أبي بكر رضي الله عنه، وقد جرى عليه كثير من العلماء السابقين أيضاً. ولكن الصواب أنه ابن بنت خالة أبي بكر، كما حقق ذلك في هذا البحث.

أما المقال الآخر فقد كتبه الأستاذ المعصومي لمجلة طلاب «المدرسة العالية». أورد فيه قصة ممتعة استخرجها من معجم البلدان لياقوت، تؤرخ أول عهد العرب المسلمين بالرز في حياتهم، ثم حكاها بأسلوب قصصي أخّاذ. ولم يُخلِه من فوائد أخرى تاريخية ولغوية وحديثية.

ثالثاً: قسم التنبيهات والمستدركات.

القسم الثالث من هذه المجموعة يشتمل على دراسات نقدية موسعة لكتب جليلة في علوم الحديث والتراجم واللغة والأدب والدواوين الشعرية، نشر معظمها على أيدي محققين مشاهير، ومنهم علماء أجلة من الطبقة الأولى كالعلامة عبد العزيز الميمني والأستاذ العلامة أحمد راتب النفاخ رحمهما الله وهذه الدراسات ليست مقصورة على إصلاح الأغلاط التي وقعت في تلك الكتب، بل تضمنت ـ إلى ذلك ـ نكتاً وفوائد واستدراكات ومناقشات كثيرة، وقد تخللها أحياناً فصول طويلة، في تحقيق مسألة أو حل معضلة أو حسم نزاع قديم، لو أفردت لكانت مقالات مستقلة. ومن أمثلتها فصل في أسماء ذي الثدية وألقابه (ص 733 ـ 736) وفصل في اشتقاق (العاص) من أسمائهم (749 ـ 756)، وفصل في أول مولود ولد في الإسلام للمهاجرين (474 ـ 481).

وقبل أن آخذ في عرض بعض محتويات هذا القسم أريد أن أنبه على أن الإحالات في عدد من هذه الدراسات كانت في الأصل المطبوع موضوعة بين

الأقواس في داخل النص، وكنت حريصاً على أن يطبع كل بحث ومقال على الوجه الذي نشر من قبل، ولكن اجتهد الناسخ في بعض مقالات هذا القسم فنزل إحالاته من النص إلى الحواشي، فرأيت من التكلف أن تعاد إلى أماكنها الأولى مرة أخرى.

ـ أطول دراسة من هذا القسم دارت حول **سير أعلام النبلاء للذهبي** (طبعة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة) ومعلوم أنه لم يصدر منها إلا ثلاثة مجلدات، أولهما بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد والثاني بتحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري، وعليهما وقف الأستاذ المعصومي، فقيد ملحوظاته التي جاءت في أكثر من 150 صفحة من هذه المجموعة.

وقد أصدرت مؤسسة الرسالة في بيروت عام 1401 هـ (1981 م) طبعة كاملة للكتاب تولى تحقيقها طائفة من الفضلاء تحت إشراف الشيخ العالم شعيب الأرنؤوط وهي طبعة جيدة أنيقة المنظر طيبة المخبر. وقد اختفت فيها معظم العيوب التي لحقت طبعة معهد المخطوطات لضعف في التحقيق. وقد يظن بعض القراء أن نقد الأستاذ المعصومي قد فقد قيمته بعد صدور الطبعة الجديدة للسير، ولكن ليس الأمر كذلك، فقد انطوت دراسته من الفوائد والمقارنات والاستطرادات ما لا يجده القارىء في حواشي السير، لالتزام منهج خاص حدد في تحقيق الكتاب لو خرج منه المحققون لما بلغ الكتاب تمامه. وقد ناقش الأستاذ المعصومي أحياناً الإمام الذهبي أيضاً، فرد عليه أو اعتذر عنه. ثم لا يخلو عمل مهما كان متقناً من زلات وعثرات. ونحيل القارىء على ترجمة واحدة فقط وهي ترجمة الزبير بن العوام ـ رضي الله عنه ـ التي وردت في المجلد الأول، فقد وقعت فيها عدة أخطاء نبه عليها الأستاذ المعصومي، ولم يفطن لها الدكتور المنجد ـ ولا يستغرب منه فإن ذلك ليس من اختصاصه ـ ولا الأستاذ حسين الأسد محقق هذا الجزء من ط الرسالة، ولا الشيخ شعيب الأرنؤوط الذي أشرف على التحقيق وخرج أحاديثه، وأقتصر هنا على ذكر موضعين فقط.

(1) نقل الذهبي رحمه الله من حديث عروة «أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للزبير: ألا تشد فنشد معك... وكان معه عبدالله بن الزبير وهو ابن عشر سنين...» ثم علق عليه بقوله: «قلت: هذه الوقعة هي يوم اليمامة إن شاء الله، فإن عبدالله كان إذ ذاك ابن عشر سنين» (ط معهد المخطوطات 1/41 ط الرسالة 1/63).

عقب على ذلك الأستاذ المعصومي أولاً بقوله: «قلت: في الصحيح: قالوا للزبير يوم اليرموك... (انظر الجامع الصحيح: ص 527 ـ المناقب، ص 566 ـ المغازي) والعجيب من المصنف أنه سها عن مراجعة الصحيح في سرد هذه الرواية وستعلمون كيف أن هذا السهو أوقعه في خطأ عجيب».

ثم عقب على تعليق الذهبي قائلاً: «هذه التعليقة من الذهبي رحمه الله تنم عما فاته من مراجعة الجامع الصحيح، وازداد استغرابنا أنه نقل قبل إيراده بلا فصل، ما وقع يوم بدر من قتل أبي ذات الكرش عن صحيح البخاري، وتلاه بحديث (ألا تشدّ) فلا أدري كيف وقع فيما وقع! مهما يكن فلا نوافقه على قوله (هذه الوقعة يوم اليمامة) بعد أن ثبت في الصحيح في غير ما موضع أنه يوم اليرموك. أما سن عبدالله بن الزبير إذ ذاك فهي مذكورة كذلك في رواية الصحيح، واستدلال المصنف بها لا يجدي، ولكن السهو ربما يقع فيه أمثال الجبال! أما الدكتور المنجد فمر بذلك دون أي انتباه. ثم خطر ببالي أن الذهبي جوز ذلك لما أنه رأى سنّ عبدالله لا تتفق مع تاريخ اليرموك على القول المشهور، ولكن فاته أن يتأمل بهذا الصدد في أمرين... (ص 523 ـ 524).

(2) نقل الذهبي حديثاً طويلاً في قضاء ديوان الزبير رضي الله عنه جاء فيه:

«وقال ابن ربيعة: قد أخذت سهماً بمائة ألف».

(ابن ربيعة) كذا وقع محرفاً في طبعة معهد المخطوطات (1/44) وطبعة الرسالة (1/66) كلتيهما، والصواب ابن زمعة (بالزاي فالميم) ويظهر من اتفاق

الطبعتين على التحريف أنه واقع في الأصول.

والجدير بالذكر أن المشرف الذي تولى تخريج الأحاديث قد خرج الحديثين كليهما ولكن لم يستفد المحقق من هذا التخريج في تصحيح النص أو التعليق عليه في هذين الموضعين وغيرهما. ألا ينبىء ذلك بثغرة في المنهج المتبع في التحقيق؟

ـ هذه الدراسة المستفيضة عن السير تلتها طائفة من الدراسات النقدية سماها المؤلف بالميمنيات، فإنها تدور جميعاً حول تحقيقات العلامة عبد العزيز الميمني رحمه الله. وقد رأينا أن نستهلها **بقصيدة الأستاذ المعصومي** التي قيلت بمناسبة صدور عدد خاص لمجلة المجمع العلمي الهندي عن العلامة الميمني. وقد أشرنا إليها في بداية كلمتنا هذه، وهي قصيدة طويلة بلغت أبياتها ثمانية وخمسين ومائة بيت (158). ضمنها الشاعر ترجمة الأستاذ الميمني، فذكر بعض شيوخه وأصحابه وتلامذته، ورحلاته العلمية ومراحل حياته المختلفة، ونوه باختصاصه باللغة العربية ومجاراته في علمها فحول علماء العرب من معاصريه وثنائهم عليه، كما وصف فيها أعمال الأستاذ الميمني، وخص بالذكر منها كتابيه (أبو العلاء وما إليه) و (سمط اللآلي) وأشار إلى شغفه بها وبمدرسة أساليبه كما سبق، ثم أقبل على بيان «ضراوته باللغة العربية» قائلاً:

حنايا ضلوعي، ساقُ حُرٍّ قطينُها	طواها على جمر الغضا أو غضا الجمرِ
يجاوب وُرقَ اللابتين بطابة	عساها بواري الزند في صدره تدري
له كبد حرَّى إلى جَيسوانة	تساعفه بالظل في وَغرة الحرّ
وتمنح إلفاً آلفاً أو مؤلفاً	بأحلى جنى عِذقِ ابن طابَ أو البسر

وأفاض بعد ذلك في تعداد فضائل اللغة العربية (لغة الذكر) ومزاياها معرباً عن اعتزازه بها، في أبيات تذكّرنا بالقصائد التي كان يلقيها العلامة محمد بهجة الأثري ـ رحمه الله ـ وغيره في المؤتمرات السنوية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة. وإليكم خاتمة الأبيات:

ولولا مزايا الضاد لم تُصمِ مهجتي (عيونُ المها بين الرصافة والجسر)
وما كادت الفصحى تطيش سهامها فقد نفذت أزلامها كبد الصخر
ثنائي على الفصحى لسانُ سريرتي وعنوانُ تبجيلي لأصحابها الزُّهر
وصاغيتي فوق البضائع كلها وإن لم أكن ربّ البضائع كالتَّجر
على كل ذي حقٍّ نثرتُ جِمَاعها فها أنا ذا مغرىً بذي مننٍ غُرّ

وهكذا رجع إلى الثناء على العلامة الميمني مرة أخرى. ثم أخذه بعض ما يأخذ الشعراء في أوج تحليقهم فانثالت أبيات أجتزىء منها ببيتين فقط:

ثنائي على عبد العزيز أفادكم معلقةً لو زدتموها على العَشر
مذهبةً هنديةً يعربيةً تعلَّق من جيد الزمان على النحر

واختتمت القصيدة بالصلاة والسلام على النبي ﷺ.

وقد علق الأستاذ المعصومي على قصيدته لتفسير الإشارات الكثيرة التي وردت فيها، وترجم في الحواشي للأعلام الذين ذكروا في القصيدة، فحشاها بفوائد عزيزة تتصل بتاريخ العربية في الهند.

ـ أما الدراسات النقدية فهي أربعة، أولها ـ وهي أطولها ـ بعنوان **طرر اللآلي وسمطها الغالي** وقد جاء في نحو مائة صفحة. وهو عبارة عن نظرات الأستاذ المعصومي في كتاب اللآلي للبكري وسمطه للميمني. والسمط من أجلّ أعمال العلامة الميمني، وحسبنا ما وصفه به العلامة محمود شاكر رحمه الله في مقدمة الوحشيات فقال: «لا يدانيه كتاب في التحقيق». وقد أبدع الأستاذ المعصومي في قصيدته المذكورة في وصف مؤاخذات البكري على القالي، وانتصار الميمني للقالي ومناقشاته للبكري، فقال:

وأما (فتى قاليقلا) فلو أنه رأى البطلَ الهنديَّ قوّاه بالنصر
وعن حوضه أضحى يدافع شاهراً مهنّدَه في وجه جيش (أخي بكر)
لحياه تسليمَ البشاشة لاثماً يديه، وقد هزّته عاطفة الشكر

وقد همت (الزهراء) ينشر أهلها سروراً بهذا، قبل آونة النشر
فكم حملة (للميمني) يشنّها على جحفل (البكري) بالكر والفر

وقد مهد الأستاذ المعصومي لمآخذه بفصول في منزلة القالي وكتابه ثم البكري وكتابه، وتواضع العلماء وعدم استنكافهم من قبول النصح والتنبيه من غيرهم وإن كان الناصح أحدث سناً أو أقل شأناً. ثم تطرق إلى الكتب التي ألفت في النقد والتنبيه، مشيراً إلى بعض أسباب حدوث التصحيف والتحريف وما إلى ذلك، مؤكدً أن نقد الناقد لا ينقص من قدر المنقود، ثم قال:

«فكذلك هذه المؤاخذات البكرية على اللغوي الكبير أبي علي القالي - وهبْ أن بعضها صحيح جيد وبعضها رديء لا يؤبه به ولا يعتد - لا تزيل القالي من قمته الشماء، كما هي لا تفيد البكري فوق ما احتله من الذروة القعساء. وهكذا مناوشات الأستاذ الميمني لا تترك ميزان السابق شائلاً، كما لا تضيف إلى فضل اللاحق فوق واو عمرو طائلاً». (ص 704).

وما أجمل اعتذاره عما فات الأستاذ الميمني فاستدرك عليه هو من المراجع نفسها إذ التزم أن لا يجاوزها إلا مضطراً! يقول:

«فإن الكبير على قدر مداركه العميقة الواسعة يتتبع النوادر الشاردة فيفيد ويجيد، وقلما يبالي بما فاته من الأمور الشائعة التي يحتاج إليها الصغار. ثم إن النكت النادرة من كل باب لعلها تكون أشد انفلاتاً وتفصياً من أوابد الوحش وشوارد الطيور، فبينا البحاث الجليل تعترض له طائفة من النوادر الشيقة التي تسترعي الانتباه، تتفلت منه أختها أو كوكبة من أخواتها، فلا استغراب إذن في أن يفوت الكبير شيء مما اتفق وقوعه في شبكة الصغير». (ص 710).

بعد هذه التوطئة التي جاءت في عشر صفحات، يبدأ قسم الطرر وفيها تنبيه على بعض التصحيفات التي لم يفطن لها الأستاذ الميمني، وردّ لبعض هجماته على البكري، وردّ لبعض هجمات البكري على القالي، ومحاكمة بين أقوال الثلاثة: القالي والبكري والميمني، بالإضافة إلى استدراكات ونكت

وفوائد أخرى جمة في اللغة والأنساب والشعر والضبط والتخريج.

وكان ينوي الأستاذ المعصومي أن يختم تنبيهاته هذه بنماذج من التحقيقات النفيسة التي انفرد بها الأستاذ الميمني وأودعها سمطه الغالي، ولكن مما يدعو إلى الأسف أنه توقف في ص 407 من الكتاب البالغ عدد صفحاته في أجزائه الثلاثة 1078 صفحة، فلم يكمل تدوين تنبيهاته، ولعله يعود إلى قراءة الكتاب قريباً كما وعد القراء.

ـ الدراسة الثانية من مجموعة الميمنيات **حول ديوان حميد بن ثور الهلالي** الذي صنعه الأستاذ الميمني ونشرته دار الكتب المصرية عام 1951 م، فاستدرك عليه الأستاذ المعصومي بعنوان (تقييد الفائت من شعر حميد بن ثور الهلالي) وضمنه أبياتاً استخرجها من نوادر الهجري (القطعة الهندية) وغيره من الكتب، مع التنبيه على هفوات وقعت في الكتاب. ونشر استدراكه هذا في مجلة ثقافة الهند عام 1960 م. وقد نشر مستدرك آخر على شعر حميد بن ثور في مجلة معهد المخطوطات عام 1986 م (الكويت 2:30 ص 687 ـ 718) ولم يقف صاحبه الدكتور رضوان محمد النجار على مقال المعصومي الذي نشر قبله بستة وعشرين عاماً، ففاتته معظم مستدركاته، وجملة منها مأخوذة من المصادر المتداولة.

ـ المجموعة الأخيرة من التنبيهات (تفاريق العصا) تضم خمس مقالات حول دواوين ابن الدمينة وجميل بثينة وابن مقبل وبشر بن أبي خازم وكتاب الأشباه والنظائر للسيوطي (طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق).

أما **ديوان ابن الدمينة** فقد نشر سنة 1959 م بتحقيق الأستاذ العلامة أحمد راتب النفاخ رحمه الله. ومن المصادر التي استقى منها شعر ابن الدمينة كتاب نوادر الهجري (نسخة دار الكتب المصرية) وإذ لم يقف على نسخة كلكتا فاته الشعر الذي ورد فيها. وبينما كان الأستاذ المعصومي ينوي نشر ما انفردت به القطعة الهندية من شعر ابن الدمينة إذ وقف على استدراك للأستاذ حمد الجاسر

رحمه الله في مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد 27 ص 101) قصد به المقصد نفسه، إلا أن بعض الأبيات جاءت في مقاله مصحفة أو مبتورة لأنه لم يتمكن من قراءة المصورة التي عنده من القطعة الهندية. فعقب عليه الأستاذ المعصومي بمقال سماه (نقّاضة الجراب) صحح فيه الأخطاء الواقعة في مقال الأستاذ حمد الجاسر مع إيراد فوائد أخرى فات الأستاذ حمداً الإلماع إليها. وكان حق هذا التعقيب أن ينشر أيضاً في مجلة المجمع العلمي العربي ولكنه نشر في مجلة ثقافة الهند فلم يتمكن الأستاذ حمد الجاسر من الاستفادة منه في نشرته لنوادر الهجري (ص 696 ـ 704) وبقيت تلك الأخطاء فيها دون تصحيح.

ـ أما تنبيهات الأستاذ المعصومي على ديواني بشر بن أبي خازم الأسدي وابن مقبل العجلاني فقد نشرت في (مجلة علوم إسلامية) الصادرة أصلاً باللغة الأردية من مركز العلوم الإسلامية بجامعة عليكره، فكانت للباحثين العرب أبعد منالاً من مجلة ثقافة الهند. فلم يصل المقالان ـ بطبيعة الحال ـ إلى محقق الديوانين الدكتور عزة حسن. أما **ديوان بشر** فقد أصدر المحقق طبعته الثانية عام 1973 م بعد مضي 13 عاماً على الطبعة الأولى (1960 م) ولعدم وقوفه على مقال الأستاذ المعصومي الذي نشر عام 1962 م فاتته الاستفادة مما اشتمل عليه من ملحوظات وتخريجات واستدراكات، وظلت الأبيات الفائتة التي استدركها خارج الديوان في طبعته الثانية أيضاً. والجدير بالذكر أن سبعة أبيات منها كان الأستاذ نقلها من مخطوطة كتاب جمهرة نسب قريش للزبير بن بكار (نسخة بودليانة) وقد صدر الكتاب في العام نفسه بتحقيق العلامة محمود شاكر ـ رحمه الله ـ الذي قال في تعليقه على الأبيات: «وقد أخل بهذا الشعر ديوان **بشر** الذي طبع حديثاً بدمشق بتحقيق صديقنا الدكتور عزة حسن جزاه الله خيراً». فإذا كان للمحقق الفاضل العذر في عدم الوقوف على مقال الأستاذ المعصومي فكيف فاته الاطلاع على نشرة كتاب ابن بكار هذه؟.

أما التنبيهات على **ديوان ابن مقبل** فتكمن أهميتها في أن الأستاذ المعصومي رجع فيها إلى نسخة خطية للديوان لم يعرفها الدكتور عزة حسن،

فاعتمد في تحقيقه على النسخة التركية وحدها وظنها فريدة. أما النسخة الهندية فقد وصفها الأستاذ المعصومي بأنها متأخرة وشبيهة جداً بالنسخة التركية، إلا أنها تعين على استكمال ألفاظ ذهبت بها الأرضة أو غيرها من الآفات في النسخة المعتمدة، نحو قول ابن مقبل الذي ورد في الديوان (ص 158) هكذا:

لـ[ـقحت حوائل] حولل لتمامه رقب... ودبر كبشة عرمس

فاجتهد المحقق في سد الخرم في الشطر الأول ووضع النقاط في الشطر الثاني. والصواب كما ورد في مخطوطة خدابخش:

لقحت به من حولل لتمامه رقباء ذو دبر بكبشة عرمس

وتشتمل دراسة الأستاذ المعصومي هذه على فوائت الأبيات والروايات والتخريجات والتصحيحات.

والجدير بالذكر أن مخطوطة خدابخش مجموع يضم ديوان بشر بن أبي خازم أيضاً وعلى الرغم من اعتماد المحقق في إخراجه على نسختين وتأخر نسخة خدابخش ومشابهتها الشديدة لنسخة جوروم، لا يخلو الرجوع إليها من فائدة. فقد وردت فيها حاشية على بيت أضاءت بها كلمة خفيت على المحقق فعلق عليها: «مسر: هكذا رسمت هذه الكلمة في الأصلين المخطوطين ولم نعرف ما هي؟» (ص 119). وصوابها (مسئر) بالهمز كما في مخطوطة خدابخش، وفسرت الكلمة في الحاشية.

أليس من الخسران العلمي أن محققاً ينشر ديوانين عام 1962 م في دمشق، وتنشر دراسة نقدية لهما في 1964 م و1966 م في الهند، أرشد فيها إلى وجود نسخة لكل منهما لم يعرفها المحقق، مع الإشادة بعمله والشكر والتقدير للناشر؛ ثم ينقضي نحو أربعين سنة لا يعلم فيها بشيء من ذلك لا المحقق ولا الناشر؟.

وقفة مع ديوان جميل بثينة (نشرة حسين نصار).

وهذه وقفة أخرى أخشى أن تطول قليلاً، أقفها كارهاً لها، وقد تمنيت أنها لم تكن، ولكن اضطررت إليها إجابة لداعي الإنصاف وإزالة لغواشي الالتباس. وأحب بادىء ذي بدء أن أنقل خبراً قرأته في ترجمة أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت 328 هـ).

حكى الإمام أبو الحسن الدارقطني أنه حضره في مجلس أملاه يوم جمعة، فصحف اسماً أورده في إسناد حديث ـ إما كان (حبان) فقال: (حيان)، أو «حبان» فقال: «حيان» ـ قال أبو الحسن: فأعظمت أن يحمل عن مثله في فضله وجلالته وهم، وهبته أن أوقفه على ذلك. فلما انقضى الإملاء تقدمت إلى المستملي، وذكرت له وهمه، وعرفته صواب القول فيه وانصرفت. ثم حضرت الجمعة الثانية مجلسه فقال أبو بكر للمستملي: «عرِّفْ جماعة الحاضرين أنا صحفنا الاسم الفلاني لما أملينا حديث كذا في الجمعة الماضية، ونبهنا ذلك الشاب على الصواب، وهو كذا. وعرِّفْ ذلك الشاب أنا رجعنا إلى الأصل فوجدناه كما قال (تاريخ بغداد 3/132).

أما بعد، فقد نشر الدكتور حسين نصار سنة 1958 م ديوان جميل بن معمر العذري، وكانت طبعته أوفى وأفضل من الطبعات الثلاث التي سبقتها، لاعتماده فيها على الطبعات المذكورة وعلى مصادر أخرى عديدة مطبوعة ومخطوطة. ومن المصادر المهمة التي فاته الرجوع إليها: كتاب التعليقات والنوادر للهجري وكتاب المنازل والديار لابن منقذ، فاستدرك الأستاذ المعصومي على طبعته في مقال نشر بعنوان (روائع نادرة من شعر جميل بثينة) في مجلة الدراسات الإسلامية (إسلام آباد) عام 1965 م. دل فيها على مجموعات مبعثرة في مكتبات العالم تحوي شيئاً من شعر جميل مشيراً ـ بوجه خاص ـ إلى أربعة مصادر مخطوطة، وهي: كتاب الإسعاف بشرح شواهد القاضي والكشاف للموصلي، وكتاب عجائب الأشعار وغرائب الأخبار

للشيزري، وكتاب المنازل والديار لابن منقذ، والتعليقات والنوادر للهجري.

وإذ لم يتيسر له الرجوع ـ عند كتابة المقال ـ إلى كتاب الإسعاف الذي اطلع على نسختين منه في مكتبة خدابخش، ولا إلى نسخة عجائب الأشعار المحفوظة في مدينة بشاور، اكتفى بإيراد ما تضمنه الكتابان الأخيران ومصادر أخرى نحو حماسة ابن الشجري وتشبيهات ابن أبي عون وغيرهما، وبلغ عدد الأبيات المستدركة 81 بيتاً. ثم قيد فوائد أخرى في العزو والتخريج واختلاف الروايات والتنبيه على بعض التصحيفات والأغلاط، بالرجوع إلى بعض نوادر المطبوعات والمخطوطات نحو كتاب الواضح المبين لمغلطائي الذي نشر الجزء الأول منه في دلهي عام 1936 م بعناية المستشرق أوتو إشبيز ونسخة مقروءة على المؤلف من كتاب أسواق الأشواق للبقاعي.

وقد أثنى الأستاذ المعصومي في أول المقال على نشرة الدكتور حسين نصار قائلاً: «وأخيراً اقتفى أثر هؤلاء الثلاثة الدكتور حسين نصار فبذهم جميعاً بما أتيح له أن يعرض نصوص شعره المجموع في النشرات السالفة على شتى المخطوطات المهمة التي لم تصل إليها أيدي زملائه السابقين، وأن يضيف إليها من شوارد قصيده ومقلدات أبياته ما لم يعثروا عليه. فجاءت هذه المجموعة بالنسبة إلى أخواتها السالفة أوفى مجموعة مادة، وأصقلها ديباجة، وأحقها بالاعتبار من شتى نواحي التحقيق».

ثم بين عذر المحقق فيما فاته من شعر جميل، فقال: «غير أن المخطوطات المبعثرة لا يمكن الوصول إلا إلى بعضها دون بعض، فلا عجب أن تبقى قي بطون الأسفار المخطوطة بالرغم من هاتيك المحاولات كلها، أشياء غير قليلة مما لم يعثر عليها أحد من رواد شعر جميل».

وكان من حسن حظ هذا المقال أنه حقق غرضه، فوقف عليه الدكتور حسين نصار، واستفاد منه في إعداد الطبعة الثانية من الديوان، ولكن ماذا فعل؟ أضاف إليها الشعر المستدرك كله (إلا تسعة أبيات من أوله) وكثيراً من

التخريجات، وصحح بعض الأخطاء، ثم أحال على مصادر الأستاذ المعصومي رأساً دون أي إشارة في هذه الإضافات والتعديلات كلها إليه أو إلى مقاله!.

إن الدكتور حسين نصار من كبار الأساتذة الجامعيين والمحققين المشهورين. وله فضل ظاهر على دارسي اللغة العربية، فكتابه (المعجم العربي) مرجعٌ لا يستغني عنه طالب علم، يضاف إليه نشره بعض الدواوين الشعرية وأكبرها ديوان ابن الرومي بمجلداته الستة. فلا يغض منه أن يفوته شيء من شعر جميل أو أن يقع في أوهام وأخطاء، فيستدرك عليه عالم من العلماء. كما لا يضير الأستاذ المعصومي أن يستفيد أحد من علمه، ثم يغفل الإشارة إليه، فإن العالم المخلص الذي ينشر علمه بين الناس لينفعهم لا يرجو منهم من وراء ذلك جزاء ولا شكوراً. ومع ذلك كان حرياً بالدكتور حسين نصار أن يشير إلى مقاله شكراً للعلم وأداء للأمانة. وقد رأيت أن الأستاذ المعصومي لم يغمط حقه وأشاد بعمله في مقدمة مقاله حق الإشادة.

وإليكم نماذج من استفادة الدكتور حسين نصار من مآخذ الأستاذ المعصومي:

(1) فسر الدكتور في الطبعة الأولى كلمة (المهارق) الواردة في قول جميل:

فما نعجة أدماء ترعى مهارقاً　　　تزجّي لها طفلاً يروّح مرضعاً

بـ (الورق) يعني ترعى أوراق الشجر، فنبه الأستاذ المعصومي على ذلك قائلاً: فلعله لم يدر أن المهارق: أوراق الكتابة. وقال المجد: «المهرق كمكرم: الصحيفة». فالصواب إذن أنه أراد بالمهارق الصحراء الملساء.

فعدل المحقق في الطبعة الثانية في تعليقه هكذا: «والمهارق: الصحاري تشبيهاً لها بالصحف» (ص 125).

(2) علق الدكتور حسين نصار على قول جميل:

على كلّ عيديٍّ النجار مُراكلٍ وأُدْمٍ تبارى وهي قُودٌ حراجفُ

فقال: «حراجف جمع حرجف، والمعنى المذكور لها في المعاجم: الريح الباردة الشديدة الهبوب، ولعله يريد أن هذه النوق تهب عليها هذه الريح».

فعقب عليه المعصومي بقوله: «قلت: بل الصواب ـ فيما يظهر ـ أنه وصفها بشدة الجري تشبيهاً لها بتلك الريح الشديدة الهبوب».

فعدل الدكتور نصار في الطبعة الثانية على هذا النحو: «ولعله يريد أن هذه النوق سريعة مثل هذه الريح» (ص 128).

(3) ذكر الأستاذ المعصومي في مقاله أن المحقق نقل البيت الآتي:

بثين الزمي لا، إن لا إن لزمته على كثرة الواشين أي معون

عن بطرس البستاني فقط، ولم يعثر عليه في مرجع قديم، فأرشده الأستاذ إلى عدة مصادر وقال: «قلت: استشهد به القتبي في أدب الكاتب (راجع شرح الجواليقي ص 400) وابن جني في المنصف (ج 1 ص 308) بلا عزو. وإنما نسبه البطليوسي في الاقتضاب (ص 469) وانظر اللسان (ج 17 ص 172).

فحذف المحقق في الطبعة الثانية ذكر بطرس البستاني، وأورد مصادره هكذا:

«البطليوسي: الاقتضاب 469، اللسان عون، ولم ينسبه ابن قتيبة: أدب الكاتب. ولا ابن جني: المنصف 1:308».

الملاحظ أن المعصومي لم يذكر في تعليقه رقم الصفحة من أدب الكاتب لأنه رجع إلى شرحه للجواليقي، أما المحقق فأغفل شرح الجواليقي، واكتفى بأدب الكاتب دون أن يراجعه، ويذكر رقم الصفحة، ثم نقل المراجع الأخرى من مقال المعصومي.

قد يقول بعض القراء إن ذلك مبالغة في سوء الظن بمحقق مثل الدكتور نصار وتعسف ليس إلا، فإن الكتب المذكورة ليست من المصادر النادرة التي يصعب الوصول إليها! فأقول: وهو كذلك ولكن هَبْه رجع إليها كلها عند التعديل في الطبعة الثانية، فهل اهتدى إليها بنفسه؟ ولماذا اقتصر على المصادر الأربعة المذكورة في النقد دون نقص أو زيادة؟ ثم لماذا لم يضف هذه الكتب إلى فهرس المصادر والمراجع في آخر الكتاب؟

(4) ذكر الأستاذ المعصومي أن المحقق نقل في ص 216 «القطعة المنحولة عن بشير يموت ولم يطلع على مصدر آخر، فأقول: أنشدها الدميري في حياة الحيوان بلا عزو (ج 2 ص 330). . .».

فعدل الدكتور نصار تحت عنوان (مصادرها): «بشير يموت 68. وأوردها الدميري: حياة الحيوان 330:2 بلا عزو، ولم أجدها في أي مرجع آخر». كأنه هو الذي وجدها في حياة الحيوان الذي ليس من مراجعه!.

(5) ورد بيتان في ديوان جميل (ص 183) وزاد الأستاذ المعصومي على مصادرهما التي ذكرها المحقق في الطبعة الأولى: ذيل الأمالي والخصائص وجمهرة ابن دريد، ثم قال: «نسبهما الشهاب محمود في منازل الأحباب إلى أبي العميثل (انظر أسواق الأشواق الـ 52)» وهو يقصد نسخة أسواق الأشواق للبقاعي المحفوظة في مكتبة الجمعية الآسيوية في كلكتا، كما صرح بذلك في المقال.

فأضاف الدكتور نصار في الطبعة الثانية المراجع المذكورة ومنها أسواق الأشواق قائلاً: «وذكر في أسواق الأشواق 52 أن الشهاب محمود نسبهما في منازل الأحباب إلى أبي العميثل».

فهل رجع الدكتور نصار إلى نسخة كلكتا من أسواق الأشواق؟ ولماذا لم يذكرها في فهرس مصادره؟.

وقد تبين لي بعد المقارنة بين مقال المعصومي والطبعة الثانية من الديوان أن الدكتور حسين نصار لم يرجع من المصادر المذكورة في المقال إلا إلى مصدرين، وهما منازل الديار لابن منقذ، والحماسة الشجرية، وسائر الإحالات مأخوذة من المقال نفسه. ولكن الذي يثير العجب أنه أغفل أيضاً أشياء من المستدركات والتخريجات والروايات التي وردت في المصدرين المذكورين، ونبه عليها الأستاذ المعصومي، فلم يأخذ بها في الطبعة الثانية، فهل استبقاها للطبعة الثالثة؟ لا أدري، ولكن أذكر هنا مثالاً لكل من المصدرين:

(1) خرج المحقق المقطوعة الواردة في ص 31 ـ 32 من كتاب الأغاني فدل الأستاذ المعصومي على أنها في كتاب المنازل والديار (24/أ) أيضاً، وأثبت الخلاف في رواية بعض الأشطر. ولكن المحقق لم يعدل في الطبعة الثانية.

(2) في ص 51 مقطوعة في خمسة أبيات، وقال المحقق إنه لم يجد البيتين الأول والأخير إلا عند بشير يموت، فنبه الأستاذ المعصومي أن المقطوعة في حماسة ابن الشجري في ستة أبيات، وقيد فروق الروايات، ولكن لم يستفد المحقق من هذا التنبيه على الرغم من أهميته البالغة، إذ دلّه على مصدر أصيل للبيتين مع زيادة بيت، فيا للعجب!.

ولقد كدت أغضي على ما وقع فيه الدكتور حسين نصار، لولا أنني رأيت أن قد زل بزلته بعض علية الباحثين، فالتبست أمور وانقلبت حقائق، فرأيت من واجبي ـ وأنا أقدم هذه المجموعة إلى الباحثين وطلبة العلم ـ أن أكشف الغطاء على كره مني ومن الأستاذ المعصومي أيضاً، لترجع الأمور إلى نصابها والحقوق إلى أصحابها.

وذلك أن قصيدة كاملة وأكثر من نصف المقطوعات مما استدركه الأستاذ المعصومي على الطبعة الأولى من الديوان مستقاة من كتاب نوادر الهجري في قطعتيه المصرية والهندية. فأدخلها الدكتور حسين نصار في الطبعة الثانية من

الديوان محيلاً على كتاب الهجري، فظن العلامة حمد الجاسر رحمه الله أن الدكتور وقف على الكتاب. فقال في تعليقه عليه من نشرته: «وشعر جميل جمع مراراً، ولعل أوفاه ما جمعه الدكتور حسين نصار، فقد رجع فيه إلى كتاب الهجري، ولكن فاته بعض ما في هذا الكتاب مما سترد الإشارة إليه». (التعليقات والنوادر، القسم الثاني ص 576).

وهذه الأبيات التي أشار الأستاذ حمد الجاسر إلى كونها قد فاتت الدكتور ثابتة في أول مقال الأستاذ المعصومي، وأرقامها: 2 (بيتان)، 4 (بيتان)، 5 (4 أبيات) ومجموعها 8 أبيات، ولأمر ما أغفلها الدكتور نصار، كما أغفل فوائد أخرى سبقت الإشارة إليها!.

ثم قابل الأستاذ حمد الجاسر ما ورد في كتاب الهجري من شعر جميل بما نقله المحقق منه في الديوان، فلاحظ فروقاً في قراءة النص وأشياء أخرى، فنبه عليها في تعليقاته ناسباً إياها جميعاً إلى المحقق، مع أن معظمها منقول من مقال الأستاذ المعصومي، وبعضها من خطأ المحقق وتصرفه، كما سنرى في السطور الآتية:

(1) أورد المحقق القصيدة الميمية (وسيأتي مطلعها) من مستدركات المعصومي في ص 194 ـ 195، وذكر تحت عنوان (مصادرها): «نوادر الهجري عن الحسن بن عارم الرويبي الهلالي وحرمزة التميمي والدعدية (عدا 23) والإسعاف للموصلي (23، 24)».

يلاحظ هنا أولاً أن هذه العبارة الأخيرة مكانها ـ حسب منهج المحقق ـ تحت عنوان (مصادرها) لا تحت (الشرح) وستعرف سر عدوله عن منهجه المألوف وضرره كذلك.

ثم ذكر في نسب الحسن بن عارم: «الرويبي» بالباء، وأثبته الأستاذ حمد الجاسر بالنون وقال في تعليقه: «الرويني، كذا في الأصل، ولعل الصواب الرويبي بالباء» أما المحقق فلم يذكر شيئاً عما في أصله ثم تصحيحه بالباء، لأنه

اعتمد على مقال المعصومي الذي أثبت الكلمة بالباء، ولم يزد على ذلك.

(2) أثبت الأستاذ حمد الجاسر مطلع القصيدة كذا:

. . . ني الشوق فالعين اللجوج سجوم ديـــار بعبـــلاء الـــربـــا فـــرســـوم

وقال في تعليقه: «لم تتضح الكلمة التي في أول البيت». أما المحقق فأثبت (ثنى الشوق) كما وردت في مقال الأستاذ المعصومي، وكانت الكلمة ـ كما حدثني الأستاذ ـ واضحة في المخطوط قبل أن يذهب ترميمه بطرفها.

(3) عجز البيت التاسع من القصيدة:

وكلهــم حــوف علـي ظلـوم

وعلق الأستاذ حمد على كلمة (حوف): «(حوف) بالواو كذا في المخطوطة، وقرأها الدكتور نصار (حرف) وفسر الحرف (مبغضون لي)».

الحقيقة أنها ليست قراءة الدكتور نصار، وإنما هي خطأ مطبعي وقع في متن مقال الأستاذ المعصومي، وقد ثبتت في الحاشية برقم 18 في آخر المقال (ص 82 من مجلة الدراسات الإسلامية) بالواو على الصواب كما في المخطوط. وفسرها الأستاذ المعصومي بقوله: «(كلهم حوف علي) أي مجتمعون بالعدواة، وهذا الاستعمال أهمله أصحاب المعاجم». وإذ لم يكن بين يدي المحقق كتاب الهجري، تخيل أن الخطأ في الحاشية دون المتن، فأثبت الكلمة بالراء، وانتزع من تفسير الأستاذ المعصومي تفسيراً له مقارباً في المعنى مغايراً في اللفظ!.

(4) البيت 22 من القصيدة:

وإن زمـانـا يـا بثيـن أزالكـم وحـلاك عـن أوطـاننا لمشـوم

علق عليه الأستاذ حمد الجاسر بقوله: «قرأها الدكتور نصار (أزالكم) وأضاف بيتاً بعد هذا البيت نصه:

وإن مليكاً فيك ألوى بحجة علـي ومـا خـاصمته لخصـوم

وليس هذا في كتاب الهجري».

أما (أزالكم) فهي قراءة الأستاذ المعصومي، وقد أورد البيت برواية أخرى أيضاً كما جاء في كتاب الإسعاف للموصلي، ولكن الدكتور حسين نصار مر بها غير عابىء.

وأما البيت التالي فقد أضافه الدكتور نصار من كتاب الإسعاف، كما أشار في العبارة التي نقلناها من قبل، ولكنه لم يوردها في موضعها الصحيح ـ أعني تحت عنوان (مصادرها) ـ فلم يفطن لها الأستاذ حمد. وقد نقل الدكتور نصار هذا البيت من مقال المعصومي، وجاءت الإحالة فيه على هذا النحو: «جزء 2 الورقة الـ 30422 (مخطوطة خدابخش، بانكي فور) فتلقف الدكتور نصار البيت، وحار في رقم الورقة هذا الطويل البالغ أكثر من ثلاثين ألفاً ـ وهو غير معقول لا محالة ـ فاكتفى بقوله «والإسعاف للموصلي» دون ذكر رقم الجزء والورقة، ولعل هذا هو السر في نقل هذه العبارة من (مصادرها) إلى (الشرح)!.

(5) ومن القصيدة نفسها:

أن أكتم ما بي منك ثم أبينه رواة الخنـــا إنـــي إذاً للئيـــم

قال الأستاذ حمد في تعليقه: «قرأها الدكتور نصار (أأكتم)». قلت: في مقال الأستاذ المعصومي (أن أكتم) كما أثبته الأستاذ حمد، و(أأكتم) من تصرف الدكتور نصار.

(6) ومنها:

لقد كذب الوُشَّى الذين تخبروا لهـم كلمـا جئنـا إليـك نميـمُ

قال الأستاذ حمد: «قرأها الدكتور نصار (الواشي)». قلت: في مقال المعصومي: «(الوشى) على الصواب ولكن دون ضبط بالشكل مثل الأبيات الأخرى أما (الواشي) في الديوان فلعله خطأ في الطباعة أو تصرف من المحقق.

(7) ورد في قصيدة أخرى:

عليهن من جل الحباء غطاية وهن مسرات الطماح سكون

علق الأستاذ حمد الجاسر على كلمة (غطاية): «كذا في الأصل وقرأها الدكتور نصار (غطاؤه)». في مقال المعصومي كما في الأصل، و(غطاؤه) تصرف من الدكتور نصار.

(8) ومنها:

فأصبحت مثل الواله النازع الذي له كلما مد الحلاة حنين

علق الأستاذ حمد على كلمة (الحلاة) قائلاً: كذا في الأصل ويظهر أن الصواب (الحداة) كما قرأها الدكتور نصار».

(الحداة) قراءة الأستاذ المعصومي، وإنما نقلها الدكتور نصار من مقاله.

(9) ومن قوله:

فقلت: بل مرض قد كاد يذهبني فاستضحكت ثم قالت: بيّنٌ ذاكا

علق الأستاذ حمد: «غيرها الدكتور نصار (قالت لي أبن) قائلاً: إن كلمة (بيّن) لا يستقيم الوزن بها وكأنه قرأه فعل أمر (بيِّنْ) وهو اسم منون (بيّنٌ)».

قلت: لقد أصاب الأستاذ حمد، أما الأصل الذي أشار إليه الدكتور نصار في قوله: «في الأصل: قالت بيّن...» فهو مقال الأستاذ المعصومي! إلا أنه أخطأ في قراءة النص لعدم ضبط الكلمات في المقال.

(10) ومن قوله:

سحيراً وأعناق المطي كأنها مدافع ثعبان أضرّ بها الوبل

وعلق الأستاذ حمد الجاسر: «قرأها الدكتور نصار: أضر به». والصواب أنها قراءة الأستاذ المعصومي لا الدكتور نصار.

وقد فوجىء الأستاذ المعصومي بتعليقات الأستاذ حمد الجاسر هذه في نشرته لكتاب الهجري، فإني لما زرته في بيته في العام الماضي ألفيته يقلّب

صفحات مقاله، وصفحات كتاب الهجري، ينظر في هذا مرة، وفي ذلك مرة أخرى، ثم يرجع إلى ديوان جميل، وقد تملكته الحيرة والاستغراب. فسألته ـ وقد تبينت ما به ـ ما الأمر؟ فقال: ألم تر أن الأستاذ حمد الجاسر وقع في سهو عظيم، إذ نسب قراءاتي إلى الدكتور حسين نصار؟ ولا شك أنه اطلع على مقالي حول ديوان جميل، ولكنه اختلط عليه الأمر عندما علق على كتاب الهجري، وهو واهم لا محالة! فكشفت له عن الأمر، وقلت: إن الأستاذ حمد الجاسر لم يقف على مقالك ولا على الطبعة الأولى من ديوان جميل، وإنما وقف على الطبعة الثانية منه، فعرض عليها ما ورد في كتاب الهجري من شعر جميل وعلق بما علق معتقداً أن ما تضمه هذه الطبعة في متنها وحواشيها من عمل المحقق وجهده. فانقضى عجبه مما كتبه الأستاذ حمد، ولكن حل محله عجب آخر أشد منه فلم يكن في حسبانه أن يحصل ما حصل من باحث كبير مثل الدكتور حسين نصار. وسألني سؤالاً يشوبه شيء من الحزن والاستغراب: ماذا كان يرزؤه لو أشار إلى مقالي!.

وقضى الله أن تجمع بيني وبين الدكتور حسين نصار ندوة علمية انعقدت في المدينة المنورة في أوائل رجب الماضي (1421 هـ)، فشعرت بسعادتي إذ سنحت لي فرصة للجلوس إليه والاستماع إلى محاضرته. فقابلته وقلت له مستفسراً: أنت استفدت في ديوان جميل من نسخة كلكتا من كتاب النوادر للهجري، فهل اطلعت على صورة منها؟ فأجاب بالنفي وقال بصراحة إن أحداً أرسل إليه مقالاً منشوراً في باكستان فاستفاد منه، وذكر أيضاً أنه صدرت طبعة ثالثة من الديوان، ثم انقطع حديثنا لعارض عرض.

وفي اليوم التالي وجدت فرصة أخرى للجلوس معه، فقلت له: إنك لم تشر في الطبعة الثانية من الديوان إلى استفادتك من ذلك المقال، وأحلت رأساً على كتاب الهجري وغيره، فأفضى ذلك إلى وهم وخلط في تعليقات الأستاذ حمد الجاسر على كتاب الهجري، واستغرب ذلك كاتب المقال أيضاً. وقصصت عليه القصة، فسكت قليلاً، ثم لم يزد على أن تساءل: ألم أشر إلى

ذلك المقال؟ وأعجبني طيب الدكتور حسين نصار، سامحه الله وغفر لنا وله. وليس لنا الآن إلا أن ندعو الله عز وجل أن يبارك في حياته ويوفقه لإصدار طبعة جديدة من الديوان بعد استيفاء ما تبقى من إضافات الأستاذ المعصومي، وتنقيحها وتخليصها من تلكم الشوائب.

صلتي بالمؤلف وعملي في الكتاب.

وقبل أن أختم كلمتي هذه أريد أن أبين باختصار صلتي بالأستاذ المعصومي وعملي في إعداد هذه المجموعة للنشر.

قرأت اسم الأستاذ المعصومي لأول مرة، وأنا أفهرس لنفسي الموضوعات المنشورة في مجلة (معارف) العريقة التي تصدر بالأردية من (دار المصنفين) بمدينة (أعظم كره) منذ 1916 م، ولا تزال محافظة على صدورها كل شهر بلا توقف أو انقطاع، وذلك أيام كنت طالباً في الصفوف العليا في مدرسة الإصلاح سنة 1969 م. وكان عنوان مقاله «معاني القرآن للطبري» الذي نشر في بعض أعداد سنة 1949 م، غير أني لم أعرج على المقال، ومضيت في عملي الذي كنت مشغولاً به.

فلما التحقت بجامعة عليكره طالباً في مرحلة الماجستير، صادفني ذات يوم في قسم اللغة العربية الأستاذ سعيد أحمد الأكبرآبادي أحد كبار علماء الهند وعميد كلية أصول الدين في الجامعة سابقاً، فخاطبني ـ رحمه الله ـ بـ«المعصومي الصغير» فشوقتني كلمته هذه إلى معرفة الأستاذ المعصومي، وإن لم يظهر لي سبب تشبيهي به إلا فيما بعد، حينما وقفت على بعض مقالاته النقدية. فإن الأستاذ سعيد أحمد ـ رحمه الله ـ قد نشر لي في مجلة (برهان) الشهيرة الصادرة من ندوة المصنفين بدلهي، وكان هو رئيس تحريرها، مقالاً طويلاً في ثماني حلقات، في نقد مقال نشر في المجلة نفسها حول آثار الشيخين أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ الواردة في كتاب البيان والتبيّن للجاحظ. ولا

جرم أن تشبيهه إياي بالأستاذ المعصومي لم يكن إلا من باب الملاطفة والتشجيع، وأنى للظالع أن يبلغ شأو الضليع!.

ومع ذلك لم يتفق لي الاطلاع على مقالات الأستاذ المعصومي إلا عام 1980 م إذ عينت رئيس التحرير المساعد (Assistant Editor) لمجلة ثقافة الهند الفصلية الصادرة في اللغة العربية من مجلس الهند للروابط الثقافية بدلهي، التابع لوزارة الخارجية الهندية، وتصفحت الأعداد القديمة للمجلة. وسبب ذلك أن المجلة نفسها لم أرها إلا في جامعة عليكره، ولكن أعدادها الجديدة التي وقفت عليها هناك لم أجد فيها إلا الحديث عن أساطير الهند وفنونها وما إلى ذلك مما زهدني فيها. فلما اطلعت على الأعداد القديمة وجدتها غنية بنفائس المقالات، ومنها مقالات الأستاذ المعصومي حول ديوان ابن الدمينة وديوان حميد بن ثور الهلالي وغيرهما، فتبين لي مقدار علمه وعلو كعبه في البحث والتنقير. فلم أنشب أن كتبت إليه أسأله تزويد المجلة ببعض مقالاته. وبعد أيام جاءتني رسالة صغيرة للسيد مرتضى الزبيدي بعنوان (القول المسموع في الفرق بين الكوع والكرسوع) بتقديم الأستاذ المعصومي وتحقيقه. ففرحت فرحاً عظيماً، وفي غمرة الفرح غاب عني ما ألمح إليه الأستاذ المعصومي في رسالته، وهو أنه قد شعر منذ زمن بتغير في سياسة المجلة فتوقف عن إرسال مقالاته إليها. ثم كنت حديث عهد بالوظيفة، وقد وجهني المدير العام لمطبوعات المجلس أن المقالات التي تنشر في المجلة يجب أن تؤخذ الموافقة عليها من رئيس التحرير، فأرسلت إليه رسالة الزبيدي هذه بالبريد الحكومي المضمون، وكان يعمل آنذاك في جامعة كشمير. ثم انتظرت وانتظرت، ووجهت إليه رسالة تذكير، فلم يجب، ولما زارنا في دلهي بعد ستة أشهر أو أكثر - وهي المرة الوحيدة التي قابلته فيها طوال أيام عملي في المجلة - وسألته فأنكر أن يكون قد وصله شيء اسمه (القول المسموع)! وقد شعرت بحرج شديد، وتألمت، ولم أرسل شيئاً بعد ذلك إلى رئيس التحرير طول بقائي في إدارة المجلة وأخذت أقرر بنفسي ما ينشر في المجلة وما لا ينشر. واعتذرت إلى الأستاذ المعصومي،

وأعلمته بما حصل، وسألته أن يرسل إلي نسخة أخرى من القول المسموع، ولكنه لم يفعل، وقد غاظني عجزي عن نشر هذه الرسالة، وظل هذا الغيظ آخذاً بأكظامي إلى زمن طويل، ثم خفّت وطأته، ولكن لم يذهب عني تماماً إلا اليوم، وأنا أقدم هذه المجموعة النفيسة من بحوث الأستاذ المعصومي وتحقيقاته إلى جمهرة العلماء والباحثين وطلاب العلم، ومن ضمنها رسالة الزبيدي المذكورة.

أما هذه المجموعة فقد وصلتني قبل خمس سنوات أو أقل نسخة من بحث الأستاذ المعصومي حول السيد مرتضى الزبيدي، لأسعى في نشرها في صورة كتاب، وأربع دراسات نقدية حول بعض الدواوين الشعرية لتجمع في كتاب بعنوان (تفاريق العصا). وقد بعث بها إلي صديقي الأستاذ أبو سحبان روح القدس من لكناؤ، فعرضتها بواسطة بعض الإخوان على ناشر حبسها عنده أكثر من سنة ثم اعتذر، فكلمت أخي الأستاذ محمد عزير شمس، وكنا نتحدث كثيراً في مجالسنا عن منزلة الأستاذ المعصومي وأهمية بحوثه ودراساته النقدية والحاجة إلى نشرها في العالم العربي ليستفيد منها الباحثون وطلبة العلم. ولما عرف أهميتها صديقنا الأستاذ محمد السليماني تحمس لها وعرض الأمر على الناشر العالم الحاج الحبيب اللمسي صاحب دار الغرب الإسلامي، الذي نذر على نفسه أن يخرج للناس ذخائر التراث الإسلامي ونفائس الكتب التي ينتقيها انتقاء، ثم يحرص على إبرازها في آنق صورة وأبهى حلة، ماضياً في طريق مستتب اختاره لنفسه في نشر العلم، لا يعنيه فيه شيء غير قيمة الكتاب وخدمة العلم والعلماء في شتى أرجاء العالم الإسلامي. فرحب الأستاذ اللمسي وأبدى استعداده لنشر بحوث الأستاذ المعصومي كلها في مجموعة واحدة، فبعثت إليه أن يسارع إلى جمع كل ما نشره في العربية من بحوث ومقالات ثم يرسلها مع مقدمته وسيرته الذاتية إلي في الرياض أو إلى الأستاذ محمد عزير شمس في مكة المكرمة.

وكان ظني حينئذٍ أن مهمتي ستنتهي بتسليم البحوث إلى دار الغرب بعد

قراءتها وتصحيح الأخطاء الطباعية والإملائية التي وقعت فيها، لأن معظمها قد نشرت في مجلات لم تتهيأ لها مطابع راقية تهتم بالضبط والتصحيح. ولكن الأستاذ اللمسي والأخوين الكريمين الأستاذ محمد عزير شمس والأستاذ محمد السليماني أصروا على أن أقوم أنا بترتيب البحوث، وتصحيح تجارب الطبع، ثم إعداد الفهارس العامة ولا سيما فهرس فوائدها المكنونة في تضاعيف التنبيهات، متنزّلين في ذلك عليّ! فلما فرغت من كل ذلك أمرني الأستاذ اللمسي أن أكتب أيضاً كلمة في أول المجموعة لتكون مدخلاً إلى محتوياتها، وخاصة لأن مقدمة المؤلف تأخرت كثيراً بسبب ظروفه الصحية. وأخيراً أبى إلا أن يثبت اسمي على غلاف الكتاب، ولم أنجح في إقناعه بأن مثل هذه الخدمة المتواضعة للكتاب لا تسوّغني نيل هذا الشرف.

وقد هممت أن أضم إلى هذه المجموعة كتاب الرستميات، وهو ديوان شعر لأبي سعيد الرستمي من شعراء الصاحب بن عباد، نشره الأستاذ المعصومي عن مخطوطة فريدة انفردت بقصائد للرستمي، وأضاف إليه ما ورد من شعره في يتيمة الدهر، وقد صدر الكتاب من مجمع البحوث الإسلامية في إسلام آباد عام 1404 هـ (1984 م) واستغرق صدوره خمسة عشر عاماً! ولكني رجحت فيما بعد أن يعاد طباعته في كتاب مستقل، مثل الكتب الأخرى التي لم يدفعها الأستاذ للنشر بعد تجربته المرة في طباعة كتاب الرستميات.

أما البحوث التي نشرها الأستاذ المعصومي في الأردية والفارسية فقد ألح الأستاذ اللمسي منذ البداية على أن تضم - بعد ترجمتها إلى العربية - إلى هذه المجموعة. ولكن الأستاذ المعصومي لم يستحسن أن يترجمها غيره، فتجتمع في كتابه أساليب مختلفة، وخشينا أيضاً أن ذلك قد يؤخر صدورها، فأرجأنا أمرها. وكم وددنا لو ضم إلى هذه المجموعة مقال واحد - على الأقل - وهو ما نشره الأستاذ المعصومي بالأردية في نقد (كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها) لعرام بن الأصبغ السلمي بطبعتيه: طبعة العلامة عبد العزيز الميمني الصادرة عام 1357 هـ، وطبعة الأستاذ عبد السلام هارون الصادرة سنة 1372 هـ.

ولم تكن لتصل هذه البحوث إلى أيدي القراء لولا توفيق الله سبحانه وتعالى، ثم مبادرة الحاج الحبيب اللمسي وحثه واحتفاؤه، حرسه الله وشكر جهوده المخلصة في خدمة العلم ونشر أعلاق التراث الإسلامي. ولا يفوتني أن أشكر للصديقين الفاضلين الأستاذ محمد عزير شمس والأستاذ محمد السليماني سعيهما واهتمامهما بظهور هذا الكتاب، أحسن الله إليهما وجزاهما خير الجزاء. أما الصديق العزيز أبو سحبان روح القدس فله الفضل الأول في توجيه عنايتي إلى نشر بحوث الأستاذ المعصومي، إذ أرسل إلي مجموعة منها قبل سنوات كما سبق، فله الشكر الجزيل مني ومن القراء جميعاً.

وأعتذر إلى الأستاذ المعصومي إذا قصرت في الإبانة عن فضله وعرض بحوثه، فإني مع معرفتي بالأستاذ منذ أكثر من عشرين سنة ومراسلته أحياناً، لم أقف على سيرته العلمية، كما لم أحظ بمجالسته ومخالطته، غير الزيارة الوحيدة التي سبق ذكرها، وكانت كإيماض البروق اللوامع!.

وأخيراً، أسأل الله عز وجل أن يفسح في عمر أستاذنا الجليل، ويمتعه بالصحة والعافية، ويعينه على إخراج كنوزه من خبايا الزوايا، إنه سميع قريب. وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

الرياض — **محمد أجمل أيوب الإصلاحي**

1421/11/12 هـ

2001/2/6 م

رسالتان للعلامة حمد الجاسر رحمه الله إلى المؤلف

(الرسالة الأولى)

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم: 619 **التاريخ 1420/2/25 هـ**

حضرة الأستاذ الكريم أبي محفوظ الكريم المعصومي وفقه الله.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد فلا أزال أذكر لكم فضلكم بتحقيق التراث الإسلامي ومنه ما حاضرتم به عن أبي علي الهجري إذ اطلعتم على القسم المخطوط الموجود لديكم في مكتبة (جامعة كلكته) وقد ألفت عن الهجري كتاباً صدرته بكلمة إهداء لكم وللإخوة الآخرين، ولم أتلق منكم أي جواب ومع هذا صورة مقدمة الكتاب.

وقد حاولت أن أرتب ما استطعت قراءته من المخطوطتين اللتين في (دار الكتب المصرية) وفي (جامعة كلكته) لأنني حاولت مراراً الحصول على نسخة مصورة منها فلم يتحقق لي هذا.

وها أنا أبعث لكم نسخة من عملي لعل لديكم ما تلاحظونه لترشدوني إلى ما قد وقعت فيه من خطأ. وأكون شاكراً لكم وسأنشره عندي في المجلة التي أصدرها واسمها مجلة «العرب».

وقد أكرمني الأخ الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي بتعهده بإيصالها إليكم جزاه الله خيراً، وآمل أن تكونوا ممتعين بصحة وعافية.

والله يتولى الجميع بعونه ويحسن لنا الخاتمة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محبكم

حمد الجاسر

(الرسالة الثانية)

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم: 562 **التاريخ 1420/11/8 هـ**

الأستاذ العلامة أبو محفوظ الكريم معصومي وفقه الله.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد ـ فقد تلقيت شاكراً ومقدراً الكتاب المؤرخ في 11 رمضان 1420 هـ وأجدني عاجزاً عن إيفاء أستاذنا الجليل حقه من الشكر على ما جادت به قريحته من ثناء على محبه لا يستحقه، ولكن العالم الفاضل كالأستاذ أبو محفوظ ينظر إلى إخوانه بعين الفضل.

1 ـ أحببت لفت نظر أستاذنا أن كتاب «المناسك» الذي سبق أن نشرته ونسبته للحربي اتضح لي أخيراً أنه ليس «المناسك» لأنني اطلعت على نصوص من مناسك الحربي لم أجدها في هذه المخطوطة وأوضح لي بعض الإخوان أنه كتاب «الطريق» لتلميذه محمد بن خلف بن حيان المعروف بوكيع فأعدت طبعه بالاسمين.

2 ـ كنت توقعت من أستاذنا أبي محفوظ أن يتحفني بوصف للمخطوطة الهندية التي أشرت إليها فيما نشرت من كتاب (التعليقات والنوادر) للهجري، لأن المصورة التي لدي من تلك المخطوطة لا يقرأ آخرها، إذ كثير من صفحاتها الأخيرة مطموسة، وتمنيت الحصول على مصورة أوضح منها فقد يكون فيها ما فاتني تدوينه فيما نشرت من الكتاب.

إذا كان في إمكان أستاذنا الجليل أبو محفوظ أو أحد إخوانه إتحافي بتلك المصورة إذا كان واضحاً آخِرُها، مع استعدادي لدفع ما يترتب على

ذلك من جميع التكاليف من تصوير وأجرة إرسال وغيرهما، مع الشكر الجزيل.

3 ـ إن الفضل الأول في معرفة الباقي من (نوادر الهجري) يرجع إلى أساتيذنا علماء الهند، كما أشرت إلى هذا في مقدمة ما كتبته عن الهجري، ولهذا لا يستغرب منهم أن يكملوا فضلهم ببيان ما يعرفون عن نقص ما ورد في ترتيبي للكتاب بسبب عدم تمكني من قراءة آخر المخطوطة الهندية.

تولاكم الله برعايته وتوفيقه وأحسن لي ولكم الخاتمة إنه على كل شيء قدير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محبكم
حمد الجاسر

مقدمة المؤلف

هذه مجموعة بحوث ومقالات شتى، سنح لي أن أكتبها باللغة العربية على مواعيد مختلفة، واتفق لي نشرها في مجلات عديدة، عربية على الأكثر، صادرة من بلاد الهند وخارجها ـ منها مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق وهي تعرف الآن بمجلة اللغة العربية، ومجلة ثقافة الهند بدلهي (الهند) ومجلة العرب لعلامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر رحمه الله؛ وأخواتها التي تذكر بأسمائها على الهوامش بأوائل البحوث كلها، اعترافاً بمنتها الواسعة على هذا الكاتب.

إن معرفتي باللغة العربية قليلة وضئيلة، لا أتفاخر بها على إخواننا في الدين عرباً وعجماً، ولكنها بنية إيماني بالكتاب والسنة بإذن الله، ولقد وضع حجرها الأساسي أبي الحفيّ بي ـ مولانا محمد أمير حسن رحمه الله، وشاركه أحياناً أخي الكبير الدكتور محمد صغير حسن المعصومي، الذي أحيا كتاب النفس لابن باجّه الأندلسي ونشر عن فلسفته وغيرها أشياء كثيرة ممتعة، ثم تلاهما من قرأت عليه من أساتذتي الأعلام رحمهم الله أجمعين.

حينما لم أكن أعرف أستاذاً غير أبي وأخي، وذلك عند مروري بالكافية لابن الحاجب، وبشرحها الموسوم بالفوائد الضيائية للعلامة الشيخ عبد الرحمن الجامي، لعبت بقريحتي داعية التلهي بألعوبة عجيبة، وهي أني ـ سراً من أبي وأخي كليهما ـ كنت أقرأ بنفسي كتاب حياة الحيوان للعلامة الدميري، وأستعين لحل مشكله وغريبه بكتاب الصراح للشيخ الإمام أبي الفضل محمد بن عمر بن خالد المدعو بجمال القرشي الذي ظفر بنسخة مصححة من صحاح الجوهري

بخزانة كتب المدرسة الصاحبية البرهانية المسعودية بكاشغر فترجم مفردات اللغة وسمى هذه الترجمة «الصراح من الصحاح» فكنت أولاً وقبل كل شيء، أغير بعض كلمات الإمام الدميري تغييراً يسيراً أو كثيراً مهما استطعت في التعبير عما ذكره وشرحه الدميري في كل ترجمة من تراجم الحيوانات. فهكذا كنت أؤلف لنفسي على كل من الإبل والأسد والفرس وما إليها كتيباً على حدة، وكنت أزبر هذه التأليفات القصيرة بخط يدي على قرطاس ثمين من صنع بعض البلدان الإفرنجية وأستعمل المداد الأسود الصيني للكتابة وكنت أعتقد في نفسي أنها مؤلفاتي! ثم اتفق ذات يوم أني اطلعت في ذخيرة أخي على «الدر النضيد في غر القصيد» و «المقامات السُندِيبيّة» وكلاهما للعلامة الشيخ الكبير مولانا عبد الأول الجونفوري أصلاً والسنديبي مولداً (دفين كلكتا) والأول ديوان شعره والآخر مجموعة مقاماته على منهج الهمذاني والحريري. فتاقت نفسي اللعابة أن تؤلف على طرازها مجموعة مقالات عديدة فاتفق لي تأليفها ووصفت فيها جبال (راج كير) وغياضها بعربيتي الأولى نثراً ونظماً فسميتها (المقامات الراجكيرية). وكل ذلك كان مما اخترعه طبعي دون مبالاة بالخطأ والغلط. هذه الألاعيب أفادتني كثيراً، حتى إنني لما اشتركت في مختلف الامتحانات المدرسية أو الجامعية كنت لا أخشى أن تذهب كتابتي سدى أو تعود عليّ قليلة الجدوى.

أما انتسابي إلى المدرسة العالية بكلكتا، فمنحني كثيراً من التحرر في انتقاء الكتب للقراءة والمطالعة، وكانت مكتبة المدرسة عامرة للغاية تحتوي على ذخائر كتب أحرزتها في مدة مائة سنة وثلاث وستين سنة (1780 م ـ 1943 م) وكنت أقضي كل يوم بعض الفرص في المكتبة عاكفاً تارة على مجلات عربية كالهلال لجرجي زيدان، والمقتطف، والمستمع العربي والأعداد القديمة لمجلة الضياء الصادرة من ندوة العلماء بلكناؤ وأمثالها، وتارة أخرى على كتب التاريخ والتراجم والطبقات وأسماء الرجال وصنوف أخرى. واطلعت في ضمنها على كتابي أبي الريحان البيروني (1) كتاب تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة عند العقل أو مرذولة، و (2) كتاب الآثار الباقية (وكلاهما حققه زخاو) واتفق مرة

أن أستعير من خزانة الكتب هذه، تأليف الشيخ عناية الله المشرقي وهو زعيم الجمعية الموسومة بـ «خاكسار» وكتابه هذا يسمى (تذكرة) بدون الألف واللام، فلما شرعت في قراءة عباراته العجيبة مبنى ومعنى، لم أستطع أن أقرأ الكتاب بالاستيعاب وكتبت على ورقة بيضاء استودعتها داخل المجلدة، كلمة جامعة للرد على أباطيل هذا الرجل العجيب وعنوانها «إياك والمشرقي» لعل ذلك وقع ببدء سنة خمس وأربعين وتسع مائة وألف ميلادية، ولم يبق عندي نسخة من هذه الكلمة ولكنها توجد داخل هذه المجلدة المذكورة آنفاً وحدها، إن بقيت مصونة في خزانة الكتب للمدرسة العالية الواقعة الآن في «بخشي بازار» بداكا (بنغلاديش).

هذه قصة علاقتي بقليل مرونتي على الكتابة بلسان العرب والإسلام ذكرتها بالاختصار تحديثاً بنعمة الله وإشادة بعجائب قدرة الله تبارك وتعالى وأعاذني من شرور أنفسنا بأسرها.

أما خزائن الكتب التي استفدت بالمباشرة من محتوياتها ما بين مطبوعات قيمة ومخطوطات هامة، فلا بد أن أشير منها إلى خزانة كتب المدرسة العالية القديمة التي تخرجت على أساتذتها ثم إنها انتقلت بمعظم ذخائرها العربية والفارسية وكتب الألسنة الأخرى إلى شرقي باكستان وهي الآن في «بخشي بازار» (داكا) كما تقدم ذكرها آنفاً، وخزانة كتب الجمعية الآسيوية بكلكتا، والمكتبة الوطنية الحكومية بها. وأفادتني هاتان المكتبتان بمآثر كثيرة فوق غيرهما من خزائن الكتب لإقامتي بهذه المدينة العامرة وكثرة مزاولتي لضنائنهما.

هذا ولم تخل رحلاتي من (كلكتا) إلى غيرها من الحواضر داخل الهند، عن جمع فوائد غير قليلة من المراجع النادرة التي عثرت عليها في خزانة مولانا آزاد بجامعة علي كره، ومكتبة العلامة شبلي النعماني بدار العلوم التابعة لندوة العلماء بلكناؤ، ومكتبة خدا بخش خان الشرقية ببانكي فور ـ هذه الخزائن كلها

حقيقة بامتناني لها وتأدية الشكر الجزيل إلى أمنائها وموظفيها على معاونتهم إياي بوجه طليق وإخلاص عميق.

أما مقالاتي التي احتوتها هذه المجموعة فلا حاجة إلى الإطالة في وصفها، غير أن أشير إلى أنَّ أقدمها في الواقع، عنوانها «قصيدة العروس» قد زبرتها في سنة إحدى وخمسين وتسع مائة وألف ميلادية ونشرتها على صفحات العدد الأول لمجلة المدرسة العالية (كلكتا) [ص 3 ـ 9، مايو سنة 1951 م] وكانت هذه المقالة حثت الأستاذ العلامة عبد العزيز الميمني وهو إذ ذاك رئيس القسم العربي في جامعة علي كره، على أن يزبر مقالة سماها «جلاء العروس» وبعث بها إلينا للنشر في مجلة المدرسة نفسها ولكن لم ينشر عددها التالي إلى مدة مديدة، فرأى الأستاذ أخيراً أن يبعث بمقالته إلى المجمع العلمي العربي بدمشق، فنشرت على صفحاتها. ومن هنا آن لي أن أرسل إلى المجمع العلمي العربي، مقالة لي في عدة مناقشات مع الأستاذ، بعنوان (نجعة الرائد) يراجع لها مجلة المجمع العلمي العربي (مج 33 ص 686 ـ 691 سنة 1958 م) وهي توجد في هذه المجموعة بين أيديكم، بعنوان (نظرة على قصيدة العروس وأخواتها) بزيادات كثيرة. ثم حيناً بعد حين كتبت ونشرت ما تيسر لي في مجلات أخرى بالهند وخارجها.

ما كان بوسعي أن أقوم بتقديم هذه المجموعة إلى القراء السادة، لقلة الوسائل اللازمة للطباعة والنشر؛ ولكن الله عز وجل قيّض لها نفراً من الأصدقاء النابهين، فبعثت على اقتراحهم، بنسخ مصورة لمقالاتي، إلى طبيب نزيل جدة يعرفني ويسمى الدكتور ظفير أحمد حرسه الله، فحصلوا على هذه النسخ من لديه واعتنوا بترتيبها وتقديمها إلى المولعين بها.

على رأس أولئك الأصدقاء سيادة الأستاذ الجليل حبيب اللمسي التونسي حفظه الله، صاحب دار الغرب الإسلامي ببيروت، وقد أحيا كثيراً من منابع العلوم الإسلامية العربية ومراجعها، بارك الله في مساعيه وكثر أمثاله. ولا غرو

أن بذله لوسعه ووكده في طباعة بحوثي ومقالاتي هذه أدل دليل على مميزاته بالوفاء لقضايا المودة وحقوق الإخاء على مستوى الملة السمحاء، أسبغ الله عليه وعلينا جميعاً نعمه ظاهرة وباطنة.

لقد حفزه على طبع مقالاتي الزهيدة، الأستاذ البحاثة محمد السليماني، حفظه الله؛ ولم يمكن لي حتى الآن أن أتصل بهما ببعث الرسائل أو على الهاتف، فضلاً عن أن يقع اللقاء بأي واحد منهما ولو مرة.

لكن توسط بيني وبينهما أستاذان جليلان أحدهما المحقق الفاضل محمد عزير شمس نزيل مكة المكرمة من أبناء مقاطعتي، واتفق لي مرة واحدة فقط قبل عشرين سنة أو أكثر أني قابلته هاهنا في كلكتا عند زيارته لها وكان أبوه من الفضلاء الكبار.

أما الآخر فهو سيادة الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي نزيل الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية. وقد استمرت المراسلات بيني وبينه قرب عقدين أو أكثر. وفي يونيو الماضي من هذه السنة (2000 م) فقط شرفني لأول مرة بمقابلتي في كلكتا، فإنه في الرحلة الأخيرة من الرياض، إلى موطنه (سراي مير) بمديرية (أعظم كره) مقاطعة (أوترابرديش) قد تجشم لأجل مقابلتي أن يزور كلكتا (غرب البنغال) لثلاثة أيام فقط (منذ يوم الخميس، التاسع عشر من ربيع الأول سنة 1421 هـ/ الثاني والعشرين من يونيو سنة 2000 م، إلى يوم السبت الحادي والعشرين من ربيع الأول سنة 1421 هـ/ الرابع والعشرين من يونيو سنة 2000 ميلادية). فجزاه الله على أواخيه جزاءً حسناً بسناً.

ليست إطالتي بما ذكرت إلا لبيان ما منحني الله المولى الكريم من نعمه المتواترة وآلائه المتكاثرة، حتى ربطني بقدرته المتعالية بحبال هؤلاء السادة النبلاء.

أسأل الله المولى الكريم أن يجازيهم على عنايتهم بنشر مجموعة بحوثي ومقالاتي هذه، وإخراجها إلى النور من طوايا الحجب وخبايا الستور، خير الجزاء وأضعاف العطاء.

فلا يفوتني أن أتقدم بإزجاء الشكر الجزيل إليهم طراً من أعماق قلبي على أياديهم الخالصة وعواطفهم الصميمة المتنوعة.

ثم الرجاء الأكيد أن حضرات القراء كلما انتفعوا من محتوياتها ذكروا ما لهم من يد أو إصبع في طبعها ونشرها وشكروا صنائعهم الجمة. وما وقفوا عليه من خطأ أو زلة لوقوع قدمي في زحلفة ومزلة، أسبلوا عليها ذيول الصفح الجميل وعرفوني بكل عثرة وزلل حتى أتخلص بمعونتهم من خطل ووحل، ودعوا لي ولآبائي وأساتذتي وسائر أهل الإسلام أن يتغمدنا الله برحمته ومغفرته.

وصلى الله وسلم على سيدنا سيد الرسل وخاتم النبيين محمد الأمين وعلى آله الطيبين وأزواجه أمهات المؤمنين وأصحابه وصحابياته الغر المحجلات والمحجلين وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أبو محفوظ الكريم معصومي
يوم الاثنين 28 رمضان، 1421 هـ
25 ديسمبر ، 2000 م

تحريرا في كلكتا (الهند)
رقم 1/33, سي -
هري كرشناكونار رود
كلكتا - 700014
(غرب البنغال)

ترجمة المؤلف بقلمه

هذا المفتقر حياً وميتاً إلى رحمة الله ومغفرته، ولد يوم الحادي والثلاثين من يوليو سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة وألف (**1931**) ميلادية.

محلتي التي ولدت بها تسمى (مَهْوا تُوله) أو (سراي) من محلات مدينة (بهار شريف) العتيقة التي سميت بها مقاطعة (بهار) الواقعة بين مقاطعتي (أوترا برديش) و (غرب البنغال) وقد ذكرها العلامة الشريف مرتضى الزبيدي البلجرامي في تاج العروس (ج 3 ص 64) مستدركاً بها على (القاموس المحيط) لمجد الدين الفيروزآبادي.

أما كلمة (مهوا) بفتح الميم وسكون الهاء وفتح الواو وسكون الألف فقد وقف عليها ابن بطوطة المغربي الرحالة الشهير في رحلته فضبطها وفسرها. وهي شجرة كبيرة من أشجار الهند، لها ثمر يؤكل طيب الرائحة، شديد الحلاوة عند النضج، يتخذون من أثمارها وأزهارها نوعاً من الخمر. وكلمة (توله) بضم التاء الحاكية لصوت (T) الإفرنجية وسكون الواو وفتح اللام وسكون الهاء، معناها البقعة أو المحل. و(سراي) كلمة فارسية الأصل، معناها الرباط حيث ينزلون في أثناء رحلتهم الواسعة.

أما (بهار) فأصلها (وهار) بالواو المفتوحة، لكنها انقلبت على الألسنة بكسر الباء التحتانية الموحدة، والمعنى مدرسة البوذيين وزاوية مراقباتهم. وكانت إحدى مدارسهم القديمة في مدينة (بلخ) من بلاد الأفاغنة، تسمى (نوَا وَهارا) أي الوهار الجديد ثم انقلبت معبداً للمجوس ومركزاً للنار التي تعبدوا لها

فصارت (نوبهار) وكانت سدانتها منذ البداية إلى البرامكة قبل اعتناقهم للإسلام.

ينتمي أبواي إلى أسرتين معروفتين بالدين والتقى وكانت أسرة أمي الكريمة تنزل محلة (خاص كنج)، وهي غير بعيدة من محلة آبائي، يحول بينهما شارع كبير متواصل من مدينة (بانكي فور) أو (عظيم آباد) إلى مدينة (رانشي) الجبلية التي لا تزال مصيفاً لحاكم المقاطعة منذ بدء حكومة الإنكليز حتى الآن بعد التحرر. لقد عاش جدي الشيخ محمد معصوم (رحمه الله) ذا عناية كبيرة بتربية أولاده ذكراناً وإناثاً على مستوى ديني رفيع. فرباهم طراً تربية إسلامية قويمة وأرشدهم مهما استطاع إلى التحلي بعلوم الكتاب والسنة ونهاية الاعتناء بصالح الأعمال مع التوقي من زخارف الدنيا الفانية الخلابة. وبالإشارة إليه اخترنا نسبة (المعصومي) الملحقة بآخر أسمائنا.

كان أبي مولانا محمد أمير حسن بن الشيخ محمد معصوم، رحمهما الله تعالى خامس إخوانه الستة وقد حصل على العلوم الإسلامية إلى بعض أبواب كتاب مختصر المعاني للتفتازاني في المدرسة الإسلامية في مدينة (بهار شريف) ثم سافر إلى مدينة (إله آباد) من عواصم مقاطعة (أوترا برديش) وانتسب إلى المدرسة السبحانية بها، فزامله ثلاثة آخرون منهم مولانا أبو المحاسن محمد سجاد، وهؤلاء الأربعة هم الطبقة الأولى للمتخرجين على الشيخ القدوة مولانا عبد الكافي وأعوانه في التدريس بهذه المدرسة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية. واختبرهم على رؤوس الملأ أعلام العلماء إذ ذاك. ولما جاءت نوبة أبي، أعجب به أحد المختبرين العلامة الكبير مولانا أبو الخير محمد عبد الوهاب السَرْبَهْدَوي، إعجاباً شديداً، حتى كتب على ورقة الشهادة قطعة ارتجلها في وصف هذا الطالب ثم أثبت توقيعه عليها وهي بنصها وفصها كما يلي:

تلألأ في الدجى بدر منير وفي الأفلاك فوق النور نورُ
أضاء بضوئه صفحات دهر وفي لمعانه برٌّ وبير

وهـذا البـدر نـور، نـور علـمٍ ببهجـة وجهـه انشـرح الصـدور
بـه اكتسـب العـلاء عـزيـز عصـر غـريـب الـدهـر فـي علـم أميـر

(نقلاً عن ورقة الشهادة وانظر قصيدتي «ذكرى العلامة عبد العزيز الميمني» وحواشيها في ص 699).

بعد الفراغ من التحصيل الرسمي قضى والدي مدة غير يسيرة مفتياً بدار الإفتاء التابعة للمدرسة السبحانية، وقد أخبرني بعض حفدة الشيخ الكبير مولانا عبد الكافي رحمه الله أن مجلدات ضخمة لنقول الفتاوى المكتوبة بخط أبي توجد للآن في مكتبة المدرسة السبحانية.

ثم انتقل ـ رحمه الله ـ إلى مدينة كلكتا واستقر بها في محلة (تانتي باغ) فبنى بها مدرسة تسمى (معين الإسلام) إلى صفوف العالمية والفضيلة وكانت ملحقة بلجنة امتحانات المدارس الحكومية في بنغالة بكلكتا، ولعله قضى هاهنا في كلكتا نحو عشر سنوات. وفي أثنائها اتفق له أن يلقي الدروس على طلاب المدرسة العالية (الحكومية) حينما تولى السيد (هارلي) عمادة المدرسة العالية وهو آخر الموظفين الإنكليز على هذا المنصب الجليل في المدرسة الحكومية ببنغالة.

قد سافر أبي إلى مدينة (داكا)، إحدى العواصم الثلاث للحكام الإنكليز في بنغالة قبل تقسيم الهند، وتولى رئاسة المدرسين بالمدرسة الحمّادية في داكا منذ سنة 1919 ميلادية إلى أن أصيب بمرض شديد في سنة 1943 م فرجع إلى مولده (بهار شريف) حتى توفي إلى رحمة الله في نفس السنة ودفن في مقبرة آبائه في (بهار شريف) غفر الله لهم وبرد مضاجعهم.

كان أبي شديد الاعتناء بتعليم أولاده وتربيتهم الدينية وكان رأيه الجازم أن يتعلم كل واحد من أولاده الذكور اللغة العربية ثم العلوم الإسلامية ولأجل ذلك عاش يباشر تدريسهم بنفسه إلى أن يصلحوا للانتساب إلى المدارس الرسمية وينجحوا في استكمال الدراسات الدينية العربية بباهر النجاح.

كنت أصغر أولاده الذكور واتفق لي أن أرافقه في الأسفار قبل أن أجاوز السنة الخامسة من عمري، فقرأت عليه كتاب الله العظيم إلى آخره مع بعض الكتب الأردوية ثم الفارسية إلى أن جاءت نوبة اللغة العربية تصريفاً ونحواً إلى الشافية والكافية لابن الحاجب والفوائد الضيائية شرح الكافية للشيخ عبد الرحمن الجامي. وقد أحفظني أبي كتاب نصاب الصبيان لأبي نصر الفراهي، وهو مجموعة قصائده الفارسية سرد فيها مفردات اللغتين العربية والفارسية وهي على أوزان العروض المختلفة كلها، ثم أحفظني كتاب نيل الأرب في مثلثات العرب للشيخ اللغوي حسن قويدر الخليلي. وقد شارك أبي في تدريسي وترغيبي في إتقان اللغة العربية نظماً ونثراً أخي الكبير الدكتور محمد صغير حسن المعصومي الذي نال الدكتوراه من أوكسفورد وصار أحد أعضاء مجمع اللغة العربية المراسلين بدمشق، قرأت عليه اللامية المنسوبة إلى السموأل بن عاديا وغيرها وبعض الحكايات من نفحة اليمن للشرواني وأشياء أخرى.

كانت طريقة أبي في التعليم أن يقرأ الطالب متن الكتاب العربي قراءة صحيحة حسب استطاعته الذاتية نتيجة لتتبع القواعد التصريفية والضوابط النحوية وكلما سنح للأستاذ أن يلقن الطالب بالصواب، لقنه بذلك تلقيناً موضحاً ثم أمره بإعادة الفقرة أو الفقرات على الوجه القويم، ثم انتقل إلى حل اللغات وبيان التراكيب العويصة حلاً مفصلاً ثم إلى بيان المطالب، وكان حتماً على الطالب أن يعيد كل ذلك بالتزام الترتيب، والأستاذ يصغي إليه في أثناء ذلك تمام الإصغاء.

لقد انتفعت من هذه الطريقة انتفاعاً عظيماً وإن كانت كثيرة الاصطبار للمعلم والمتعلم كليهما. وبينما كنت أقرأ بعض أبواب (الفوائد الضيائية) للعلامة عبد الرحمن الجامي وهو شرح الكافية لابن الحاجب، سنح لي أن أنظم الشعر العربي لأول مرة في التاسعة من سنوات عمري. ولا أحفظ الآن إلا صدر البيت الأول وهو بنصه كما يلي:

طلـع الهـلال لنـا برونـق نـوره

قلت ذلك بمناسبة هلال رمضان المبارك.

بعد ذلك بقليل أخذت عن والدي أوائل كتاب مشكاة المصابيح وشرح الوقاية ونور الأنوار شرح المنار للشيخ الكبير ملا أحمد جِيوَن الأمِيتَوي، فآثر أبي أن أنتسب إلى صف امتحان العالمية بالمدرسة الحمادية، ثم أديت الامتحان الرسمي تحت لجنة امتحانات المدارس ببنغالة الواقعة في كلكتا، ففزت بحمد الله وفضله بنجاح باهر في الامتحان المنعقد سنة 1943 م وكنت ثالث الناجحين في الدرجة الأولى ببنغالة تماماً [يعني على مستوى الولاية] وأصبت مكافأة حكومية لمدة سنتين. والآن رأى أبي أن أنتسب إلى صف الفضيلة بالمدرسة العالية الحكومية في (كلكتا) في أثناء مايو سنة 1942 ميلادية. فأقمت هنا في كلكتا وحيداً في أحلك الأدوار بسبب الحرب العالمية الثانية، وأصيب أبي ببعض الأمراض الشديدة فانصرف إلى (بهار شريف) حتى توفي إلى رحمة الله في أوائل سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة وألف (1943) ميلادية، إنا لله وإليه راجعون. ولما أديت امتحان الفضيلة سنة 1944 ميلادية نجحت ـ بفضل الله وعونه ـ في الدرجة الأولى وجئت ثاني الناجحين فيها في بنغالة تماماً وحصلت على مكافأة حكومية لمدة سنتين. فانتظمت في طلاب التخصص في الحديث النبوي فقرأت على كبار أساتذة المدرسة العالية كتب الصحاح الستة قراءة بحث وتنقيح، وتفسير سورة البقرة كما فسرها القاضي البيضاوي، وسورتي آل عمران والنساء على ما فسرهما الزمخشري في كشافه، وكتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، والتاريخ الإسلامي منذ أولية العرب قبل الإسلام إلى سيطرة هولاكو على بغداد ثم اعتناق المغول للإسلام.

هذا ونجحت في امتحان التخصص سنة 1946 م بعون الله وتوفيقه وجئت أول الناجحين في الدرجة الأولى في بنغالة تماماً.

بعد الفراغ من امتحان التخصص، تزوجت سنة 1946 م، امتثالاً لأمر أمي الكريمة. وقد أصر علي أخي الكبير أن أرافقه إلى (داكا) لتعلم اللغة

الإنجليزية وبعض العلوم الحديثة اللازمة فسافرت إلى (داكا) وأقمت معه في تتبع اللغة الإنحليزية وما إليها. وكنت في هذه الفترة ربما أتمتع بمطالعة بعض الكتب العربية المستعارة على الأكثر من خزانة كتب الجامعة فاطلعت في بعض الفرص على «أبي العلاء وما إليه» للعلامة الميمني، فنظمت في الذب عن أبي العلاء كلمة طويلة تتضمن الرد على البحّاثي.

ثم إن المدرسة العالية الواقعة في (كلكتا) منذ بنائها الأول سنة ثمانين وسبعمائة وألف (1780 م) ميلادية، انتقلت نتيجة تقسيم البلاد بين الهند وباكستان، في نصف أغسطس سنة (1947 م) إلى (داكا) عاصمة شرقي باكستان ثم بنغلاديش وكنت إذ ذاك ثاوياً بها منذ قبل التقسيم، فلما استقر بأهالي المدرسة القرار في (داكا) أخذت أقابلهم، واتفق ذات يوم أن أتشرف بزيارة حضرة الأستاذ مولانا محمد ضياء الحق وهو عميد المدرسة منذ سنة 1943 م وكان يحبني كثيراً، فاقترح عليّ أن أشتغل بعمل بحث عن موضوع هام، تحت إشراف الأستاذ العلامة أبي الزبرقان عبد الرحمن الكاشغري؛ فبدأت العمل بإشرافه على دراسة تفسير جامع البيان للإمام الكبير محمد بن جرير الطبري رحمه الله دراسةً انتقادية منذ أوائل سنة 1948 ميلادية. وألفت كتاب معاني القرآن للإمام الطبري، وكتبت تعريفاً بعملي هذا مقالة باللغة الأردوية، وقد نُشِرت في مجلة «معارف» لدار المصنفين أو أكاديمية العلامة شبلي النعماني بأعظم كره، وكان مديرها إذ ذاك العلامة الكبير السيد محمد سليمان الندوي. وهذه المقالة قد أعجب بها بعض الكبار من علماء الهند، وشرفوني بآرائهم النافعة القيّمة تحبيذاً وتنويهاً بعملي هذا.

ثم اتفق أن حكومة غرب البنغال (الهند) أعلنت بقصدها الجازم لإحياء المدرسة العالية في كلكتا، على اقتراح العلامة الأكبر مولانا أبي الكلام آزاد والحكومة المركزية في دلهي الجديدة، فقدّمتُ طلبي لبعض المناصب التعليمية إلى مدير المعارف العمومية بغرب البنغال (كلكتا) فانتخبوني مدرساً مساعداً [Assistant teacher] لإلقاء الدروس، فانتقلت إلى كلكتا وانتظمت في زمرة

المعلمين بالمدرسة العالية (كلكتا) منذ رابع شهر أبريل سنة 1949 ميلادية ثم سافرت إلى (داكا) للمرة الأخيرة في نفس السنة للشركة في امتحان لجنة المدارس الثانوية الحديثة، وبعد ذلك انقطعت علاقتي من (داكا) تماماً.

هذا وبقيتُ على وظيفتي المذكورة آنفاً إلى ثامن فبراير سنة خمسين وتسعمائة وألف ميلادية. وانتخبتُ محاضراً [Lecturer] في تاريخ الإسلام والحضارة الإسلامية منذ تاسع فبراير سنة (1950) ميلادية. واستمر بقائي على هذا المنصب إلى عاشر أكتوبر، سنة 1968 م، ثم انتخبوني أستاذاً [Professor] في الحديث والتفسير، منذ الحادي عشر من أكتوبر سنة 1968 ميلادية واستمر عملي على ذلك إلى أن أحيل العاجز إلى المعاش في الحادي والثلاثين من شهر يوليو سنة إحدى وتسعين وتسعمائة وألف (1991) ميلادية.

قد فاتني أن أذكر أشياء، ولا بأس أن أشير منها خاصة إلى مشاركتي في الامتحانات الجامعية بجامعة علي كره، فنجحت في امتحان البكالوريا سنة 1967 م بالدرجة الأولى مع الحصول على الوسام الجامعي ثم في امتحان الماجستير سنة 1969 ميلادية فحصلت على النجاح بالدرجة الأولى مع استحقاق الوسامة لأول الناجحين، وكل ذلك بعون الله وتوفيقه.

ومن نعم الله على هذا المفتقر إلى الله وحده، أن حكومة الهند المركزية منحتني شهادة التفوق الرسمية كأستاذ في اللغة العربية على مستوى الهند الحاضرة كلها سنة 1977 ميلادية. ثم حصلت منها على جائزة رئيس الهند [Rastar Pati Award] سنة 1991 م وهي عبارة عن شهادة الامتياز في اللغة العربية مع مكافأة سنوية طيلة الحياة.

أما اشتغالي بخدمة علوم الدين واللغة العربية مع قلة بضاعتي، فأسأل الله المولى الكريم أن يتقبله بقبول حسن ويوفقني وسائر أهل الإيمان والإسلام لما يحب ويرضى به من الأعمال الصالحة ويجازي جزاءً حسناً أبوي المرحومين وإخوتي وسائر أساتذتي وعلماء الأمة الذين اتصلت بهم أسانيدي بصدد علوم

الكتاب والسنة. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين وخاتمهم بالنص المبين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، كثيراً كثيراً وبكرةً وأصيلا.

قالها بفمه وكتبها بقلمه

أبو محفوظ الكريم معصومي

(سابقاً) أستاذ في علوم الحديث والتفسير بالمدرسة العالية (الحكومية) في كلكتا، غرب البنغال، الهند

22 شهر رمضان، 1421 هجرية

19 ديسمبر، 2000 ميلادية

كلكتا

1/33, سي ـ هري كرشناكونارد رود

كلكتا ـ 700014

الهند

نموذج من خط المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المؤلف بقلمه

هذا المفتقر حيا وميتا، إلى رحمة الله ومغفرته، ولد يوم الحادي والثلاثين من يوليو سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة وألف ميلادية.

محلتي التي ولدت بها تسمى (مَهْوا تُوله) أو (سَراى) من محلات مدينة (بهار شريف) العتيقة التي سميت بها مقاطعة (بهار) الواقعة بين مقاطعتيْ (أُوترا برديش) و (غرب البنغال) وقد ذكرها العلامة الشريف مرتضى الزبيدي البلجرامي في تاج العروس (ج ٣ ص ٦٤) مستدركا بها على (القاموس المحيط) لمجد الدين الفيروزآبادي.

أما كلمة (مهوا) بفتح الميم وسكون الهاء وفتح الواو وسكون الألف فقد وقف عليها ابن بطوطة المغربي الرحالة الشهير في رحلته فضبطها وفسرها وهي شجرة كبيرة من أشجار الهند، لها ثمر يؤكل طيب الرائحة، شديد الحلاوة عند النضج، يتخذون من أثمارها وأزهارها نوعا من الخمر. وكلمة (تولِه) بضم التاء الحاكية لصوت (T) الإنجليزية وسكون الواو وفتح اللام وسكون الهاء، معناها البقعة أو المحل. و (سراى) كلمة فارسية الأصل، معناها الرباط حيث ينزلون في أثناء رحلتهم الواسعة.

أما (بهار) فأصلها (وهار) بالواو المفتوحة، لكنها انقلبت على الألسنة بكسر الباء التحتانية الموحدة، والمعنى مدرسة البوذيين و زاوية مراقباتهم وكانت إحدى مدارسهم القديمة في مدينة (بلخ) من بلاد الأفاغنة، تسمى (نَوَا وَهارا) أي الوهار الجديد ثم انقلبت معبدا للمجوس ومركزا للنار التي تعبدوا لها فصارت (نوبهار) وكانت سدانتها منذ البداية إلى البرامكة قبل اعتناقهم للإسلام.

٢ ينتمي أبواي إلى أسرتين معروفتين بالدين والتقى وكانت أسرة أمي الكريمة تنزل محلة (خاص گنج) وهي غير بعيدة من محلة آبائي، يحول بينهما شارع كبير متواصل من مدينة (بانكي پور) أو (عظيم آباد) إلى مدينة (رانشي) الجبلية

نماذج

من أوائل المقالات المنشورة في المجلات الهندية

(١)

قصيدة العروس

بقلم الاستاذ ابى محفوظ الكريم المعصومى

نظمها خالد بن صفوان المنبوز بالقنّاص وهو من رجال الصدر الأول لم يؤثر عنه شئ في النظم غير هذه القصيدة التى سمتها العرب العروس، قد نشرها الاستاذ عبد العزيز الميمنى اول مرة فى القسم الأول من الطرائف[1] الادبية وعوّل فى نسخها على مخطوطة محفوظة فى كتبخانة ينى جامع رقم ١١٨٧، وذكر ايضا نسختين منها احداهما بالقدس والاخرى بكتبخانة جامع نور عثمانيه باستنبول رقم ٤٠٢٥، فهذه ثلاث نسخ من هذه القصيدة عثر عليها صاحب الطرائف وحدثنا عنها

وانى اطّلعتُ على عدة نسخ منها محفوظة فى دور الكتب باوربا والقاهرة وكلكتا، فما أنا احد تكلّم عن هذه النسخ كلها حبًّا لذكرى المخطوطات المبعثرة ولكنى أوجّه الأنظار قبل كل شئ الى شخصية خالد بن صفوان، ربما يمكن لى أن أكشف القناع عن وجه حياته، فأقول انى وجدت بروكلمان، واهلورد، وجارلس ريو وامثالهم ممن وضعوا فهارس المكاتب الافرنجية كلهم يصرحون بان خالد بن صفوان هو ذاك الرجل الذى عاش فى الدولة الاموية وأدرك صدر الدولة العباسية، ولولا المخطوطة – من هذه القصيدة – المحفوظة فى مكتبة لائيدن[2] لما كانت نثق بقولهم وطيدة، فان هذه النسخة تؤيد ما ذهبوا اليه وكأنها فتحت لنا الباب المغلق على مصراعيه حيث تتضمن هذه العبارة:-

"قال ابن حميد الكلابزى:- قال كان خالد بن صفوان نصيحا قال دخلت على يزيد بن المهلب وهو يتغدّى فقال ادن فكل، قلت فانى قد أكلت قال وما أكلت"

ففى العبارة الآنفة الذكر ما ينصّ على أن صاحب القصيدة كان ممن يجالس يزيد بن المهلب احد القوّاد النابهين فى الدولة الاموية واذا فتّشنا عن هذا الرجل الفصيح الذى سمّته

(١) ص ١٠٢-١١٣، القاهرة، سنة ١٩٣٧م (٢) سيأتى ذكر هذه النسخة، عه انظر الحاشية رقم ١٢

(١) مجلة المدرسة العاليه، سنة ١٩٥١م / ١٣٧٠هـ — ص ص ٣-٩
[مطبعة محبوب المطابع، كلكتا (الهند)]

صدر الدين الشيرازى

حياته و مآثره

للاستاذ ابو محفوظ الكريم معصومى

محاضر التاريخ الاسلامى بالمدرسة العالية كلكته

إن أحسن ما نبتدئ به ذكرى العلامة الفيلسوف محمد بن إبراهيم بن يحيى الشيرازى الشهير بملا صدرا، هو ما أنشد أستاذه الإمام محمد باقر داماد الإسترابادى، إشادة بما لمح فى تلميذه البارع من ملامح العبقرية فقال :

صدرا ! جاهت گرفته باج از گردون　　در فضل تو داده است خراج افلاطون
در مسند تحقيق نيامد مثلث　　يكسر ز گريبان طبيعت بيرون (١)

و قبل أن نتناوض فى البحث عن حياته و آثاره، يجدر بنا أن ننبه على وجه الإيجاز بكيفية انتشار الفلسفة فى بلاد الهند، و خاصة فى شمالها منذ أوائل العهد الإسلامى إلى القرن الحادى عشر.

يظهر من تتبع تاريخ الثقافة الإسلامية فى الهند ان الفنون العقلية لم تحظ ببالغ التقدير فى برامج الدروس السائدة إلى نهاية القرن التاسع الهجرى، و أنهم ما تجاوزوا فى دروسهم - طيلة هذه المدة - عن الرسالة الشمسية فى المنطق، و عن بعض الشروح على كتاب الصحائف فى الفلسفة و الكلام ' و كان هذا المنهاج الرسمى رغما عن بساطته خير مساعد على تثقيف العقول و تحلية النفوس بمحاسن الحضارة و الثقافة، و على إمتاعها بتشحيذ الخواطر، و تنمية الأذواق الفلسفية :

و فى أواخر القرن التاسع ، ريثما اعتلى السلطان سكندر اللودى (٨٩٤-٩٢٣ هـ) على عرش المملكة، تطورت الحركة العلمية بنوع خاص' و اتسع المجال للعلوم العقلية من ذى قبل ؛ فقد كان، لشدة عنايته بفنون العلم يحث أعلام عصره فى مختلف العلوم على أن ينشروا من خزائن صدورهم كل فن و حكمة ؛ فانثالت إليه وفودهم تترى' و نقرأ خاصة عن الشيخين (٢) عبد الله و عبد العزيز التلنبيين، (٣) أنهما

---

(١) التنكابنى' قصص العلماء - ص ٢٥٨ (ايران).　(٢) مآثر الكرام - ص ١٩١ - ١٩٢ .

(٣) هذه النسبة إلى "تلنبه" بضم التاء و فتح اللام و سكون النون و فتح الباء الموحدة، بليدة فى مقاطعة مولتان .

ديوان ابن مقبل

تحقيق الدكتور عزة حسن

تميم بن أبيّ بن مقبل العجلاني أحد الخمسة الذين وردت في عن رواة الشعر الثقات، و أئمة اللغة الأثبات، هذه المقولة المأثورة—« و من أراد الغريب الشديد الثقة ففى شعر ابن مقبل، و ابن أحمر، و حميد بن ثور الهلالى، و الراعى، و مزاحم العقيلى»[1] —وكان ذلك مما أحس به ابن مقبل نفسه حيث قال:

إذامت عن ذكر القوافى فلن ترى لها تاليا مثلى أطبّ و أشعرا
وأكثر بيتا ماردأ ضربت له حزون جبال الشعر حتى تيسرا
أغرّ غريبأ يمسح الناس وجهه كما تمسح الأيدى الأغرّ المشهرا[2]

وجاء عنه فيما حكوا من أقاويله—« إنى لأرسل القوافى عوجا، فتأ تينى وقد ثقفتها »—[3]

مازال ديوان شعر تميم نادراً يعزّ العثور على مخطوطه، إلى أن أخرجت إلينا مديرية إحياء التراث القديم، التابعة لوزارة الثقافة و الإرشاد القومى فى الجمهورية العربية السورية، نشرة منقحة و محققة لديوانه فى عام ١٩٦٢م. ولما عثرت عليها عاودت بى الوهلة الأولى إلى إبان تلمذتى للاستاذ عبدالرحمن الكاشغرى، الذى دراسته لشعر ابن مقبل عرفتنى أول مرّة بمكانة هذا الشاعر و قيمة شعره. وكان اتفق له قبل ثلاثين سنة أونحوها، أن يتتبع نصوص شعر ابن مقبل ويودعها فى نسخة مفرزة،[4] بيد أن الظروف لم تساعده للآن على

---

(١) المصون فى الادب (الكويت) ص ١٩٦
(٢) ديوان ابن مقبل تحقيق الدكتور عزةحسن (دمشق، ١٩٦٢)ص ١٣٦
(٣) راغب الاصبهانى: محاضرات الأدباء (مصر ١٢٨٧هـ) ١ : ٤٨
(٤) مسعود عالم الندوى: مقدمة الزهرات (مجموعة شعرية للكاشغرى): (لكناؤ ١٣٥٤هـ) ص ٢٨؛ عبدالستار: تاريخ المدرسة العالية (بالأردوية (داكة، ١٩٥٩) ٢ : ٢٠٠

روائع نادرة من شعر جميل بثينة

بقلم الاستاذ ابى محفوظ الكريم المعصومى

نشر ديوان جميل بثينة الدكتور حسين نصار، وقبله اتفق لثلاثة من المغرمين بذاك الشاعر العذرى، ان يبذلوا جهدهم الجهيد فى اخراج ديوانه، و كان رائدهم الاول الاستاذ بشيريموت[1] و تلاه المستعرب الطليانى فرانسسكو غابريلى[2] و ثلثها الاستاذ بطرس البستانى[3] ولكلهم فضيلة لا تنكر بقدر ما تسنى لكل واحد منهم فى تدوين شعره المبثوث، من تتبع شتى الكتب المتداولة، و مراجعة المخطوطات النادرة التى عثروا عليها فى ظروفهم الخاصه۔

و اخيرا اتفى هولاء الثلاثة الدكتور حسين نصار[4] فبذ هم جميعا بما اتيح له ان يعرض نصوص شعره المجموع فى النشرات السالفة على شتى المخطوطات المهمة التى لم تصل اليها ايدى زملائه السابقين۔ و ان يضيف اليها من شوارد قصيده و مقلدات أبياته ما لم يعثروا عليه فجاءت هذه المجموعة بالنسبة الى اخواتها السالفة اوفى مجموعة مادة و اصقلها ديباجة و احقها بالاعتبار من شتى نواحى التحقيق، غير ان المخطوطات المبعثرة لا يمكن الوصول الا الى بعضها دون بعض، فلا عجب ان تبقى فى بطون بعض الاسفار المخطوطة، بالرغم عن هاتيک المحاولات كلها، اشياء غير قليلة مما لم يعثر عليها احد من رواد شعر جميل۔

لم ينحدر الينا شعره مضبوطا و مدونا فى نسخة مفرزة۔ و انما قرأنا فقط عن جزء تام من شعره، وصل به ابو على القالى الى الاندلس[5]، كما حدثنا ابن خلكان عن ديوان شعره المشهور فى عصره[6] و لعل نسخة من ديوانه بقيت الى القرن العاشر فقد اطلع عليها السيوطى۔ ولكننا لم نظفر للان بقطعة مستقلة فى شعره۔

٦٧

قصة الارز فى الادب العربى

الاستاذ ابو محفوظ الكريم معصومى
رئيس اساتذة القسم العربي بالمدرسة العالية كلكتة

هذه وقعة تاريخية ، وليست قصة تنسجها فكرة كاتب ، وهنالك حوادث جمة وعاها التاريخ ، وهى تشبه اقاصيص يبتكرها بارع من الكتاب ، تكون لنا فى قراءتها متعة ولذة . فهذه القصة من قبيل تلكم الحوادث .

الارز - كما تعرفون - ضرب من الحبوب معروف . وهو غذاء هام عند اكثر شعوب اسيا . يرجع تاريخ زرعه فى الهند خاصة الى حوالي خمسة الاف سنة قبل الميلاد كما ثبت فى ضوء احدث الاكتشافات الاثرية .

ما كان الارز يعرفه العرب فى الماضى السحيق . فلا بد ان تكون كلمة (الارز) دخيلة على لغتهم شان طائفة كبيرة من الالفاظ الماخوذة عن مختلف اللغات استعاروها فى اثناء الروابط التجارية بينهم و بين الهنود وغيرهم من امم الشرق .

لقد تعددت صورة الكلمة على السنة العرب فصارت الى ست لغات ارز و ارز مثل رسل و رسل — وارز وارز مثل اشد و عتل . ورز و رنز . مثل ود وجند . وهذه الاخيرة لغة عبد القيس وهى قبيلة . كما عرفتم فى الحديث النبوي . تسكن البحرين وقطر البحرين من اقرب الاقطار العربية الى الهند يحول بينهما الخليج الفارسي .

والدراسة اللغوية تحقق ان الفرس تعرفوا بالارز نتيجة لمواصلاتهم مع جنوب الهند . يقال له بالفارسية ويرنز (Virinza) وبالفارسية المتداولة برنج (Biring) والاصل بالسنسكرتية وريهى (Vrihi) اما الارز بالعربية فيمت بصلة قريبة الى التاملية اريسى (Arisi) ولنا صور متقاربة فى لغات الاوربيين كلها تشير الى اصلها الاول . فباللاطينية اوريزا (Oriza) وبالفرنسية ريز (Riz) وبالطليانية ريسو (Riso) وبالانكليزية رايس (Rice) وبالبرتغالية و الاسبانية اروز (Arroz) ولا يخفى ان هيئة الكلمة باللغتين الاسبانية والبرتغالية خاصة تنم عن قرابة قريبة بينها و بين لفظ الارز العربى . والما اعترفوا علنا ان العرب نقلوا معهم زراعة الارز الى بلاد الاندلس ثم بفضلهم انتقل الارز سبيله الى داخل البلدان الافرنجية والاول

Sir James A. H. Murray : A New English Dictionary (Oxford, 1914): VIII
The Ency. Britannica ...

كلكته مدرسه ميگزين ٧٢ - ٧٣ ١٩ م

(١)
قرابة أم مسطح من أبي بكر الصديق

أم مسطح رضى الله عنها صحابية جليلة من المبايعات، أسلمت فحسن إسلامها وشاركها فى ذلك ولداها عوف بن أثاثة ـ المعروف بمسطح ـ وهند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف رضى الله عنهما. لقد مات زوجها أثاثة وكان ابن عمها، فتركها وذينك الولدين منها تنظر وحدها فى شأنهما وتقوم عليهما بواجبات التربية.

إنها قرشية صميمة، وكانت كما تقتضى الظروف حازمة، رابطة الجأش فأكسبها التوفيق فرصة الاشتراك مع المهاجرين الأول فى فضيلة السبق. وكفاها حظوة أن تعرض نفسها وذريتها للخطر والشدائد، تقاومها قريرة العين بما فى سبيل الله ورسوله من سعادة الأبد والطمأنينة. فعاشت مع ولديها عيشة الحرائر، تدور مع الحق حيثما دار.

ولعل أبا بكر الصديق رض منذ أول يوم قام يشملها برا وكفالة مقام أخ بار. إلى أن هاجرت فيمن هاجروا إلى المدينة واستمر الصديق يمدها باحتمال مؤونة الكفالة، حتى إذا صار ابنها مسطح رض يذهب مذهب الخائضين فى الإفك، فكانت أم مسطح من أشد الناس على مسطح وإن كان هو فلذة كبدها. وكانت اطلعت أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق ـ رضى الله عنهما ـ على هذه الفرية الدينية قبل كل أحد. واتفق ذلك ليلة خروجهما معا تلقاء المناصع.

الدنيئة

كانت بين الصديق رض وبين أم مسطح رض قرابة غير بعيدة، إلا أنهم اختلفوا فى بيانها، فلذلك رأيت أن أوضح، فيما يلى، أمر هذه القرابة بنوع خاص.

(١) مجلة المجمع العلمى الهندى (جامعة على كره)، المجلد الاول (العدد الاول) جمادى الاخرى ١٣٩٦هـ / يونيو ١٩٧٦م ـــ ص ص ١٥٦ - ١٦٣